على أبوابكم عبد ذليل قليل الصبر ناصره قليل له أسف على ما كان منه
وحزن من صدودكمو طويل يمدّ إليكمو كف افتقار ودمع العين من أسف يسيل
يرى الأحباب قد وردوا جميعا وليس له إلى ورد سبيل وكيف يضام جاركمو وأنتم
كرام لا يضام لكم نزيل فإن يرضيكمو طردي وبعدي فصبري في محبتكم جميل
وحق ولائكم وشديد شوقي سلوّي عن هواكم مستحيل قطعت بحبكم أيام عمري
فلا أسلو وقد بقي القليل يحدثني الصبا عنكم حديثا يصح بنشره الجسم العليل
فأسكر من شذاها حين هبت وأنظر حيثما مالت أميل وتروى عن شفيع الخلق طرّا
حديثاً فيه للمضنى دليل هو المختار من كل البرايا هو الهادي البشير هو الرسول

عليه من المهيمن كل وقت صلاة دائماً فيها القبول

وصلاة الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم .

المجلس الحادي والخمسون

في ذكر مولد النبي ﷺ بأوسع مما تقدم

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود ، الموصوف بالكرم والفضل والجود ، المنزه في وحدانيته عن الأبناء والآباء والجدود ، المقدس في ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود ، البصير بحركات الذر في البحر والبر تحت ظلام حنادس الليالي السود . الحكيم الذي فجر الأنهار من صم الجلمود ، وأخرج رطب الثمار من يابس العود ، لا تمثله الأفكار ولا تحويه الأقطار ، ولا ينهيه المقدار ، ولا تفنيه الأعصار ، ولا تدركه الأبصار ، وهو الواحد المعبود ، المعطي الذي لا مانع لما أعطى ، ولا دافع لما قضى ، الكريم الذي جاد لعبده ، بجزيل رفده وثوابه ، وكم رآه عن بابه معرضاً ، الحليم الذي يستر العاصي برحمته ، وقد رآه لمعصيته متعرضاً ، الغفار الذي يغفر الذنوب ، ويستر العيون ويعفو عما مضى ، القهار الذي قهر الجبابرة ، وكسر الأكاسرة ، وضرب بسهم

بعاده من سل سيف عناده وانتضى ، حير الأفكار في مدارك سبحات جماله العظيم ، وأذهل العقول عن الوصول إلى أصول كنه جلاله القديم ، وأخرس الألسن عن عبارات إشارات سر أفعاله بعد الفصاحة والتكليم ، وأدهش الخواطر عن الإحاطة به فلا يرام بالتوهيم ، فهو القديم الماجد ، الكريم الواحد ، المنزه عن الولد والوالد ، المقدس عن المشارك والمساعد ، المتعالي عن المشابه والمماثل ، والمضادد والمعاند ، المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد ، الذي أسبل ستره الجميل على عبده الذليل ، العاصي وهو ناظر إليه ومشاهد ، فهو المعروف بالربوبية ، الموصوف بالإلهية ، المنفرد بحقيقة الوحدانية ، تنزه عن الأوهام الخيالية ، وتعزز في بقائه عن الفناء والمثلية عالم بكل خفية وجلية ، حارت العقول في عظمته فما عرفت له أينية ، وكلت الأفكار عن إحصار صمديته فلا يعرف بالعلوم العقلية ، تعالى عن المماثل والمناسب وجل عن المشارك والمصاحب يقبل التائب ويحب الآيب ، وليس على بابه بواب ولا حاجب ، من أمل سواه ، فهو الشقي الخائب ، ومن أناخ بباب كرمه ظهر بنيل المآرب ، ومن ذاق حلاوة أنسه رأى العجائب والغرائب ، ومن أعرض عمن سواه رفعه ورقاه إلى أرفع المراتب يزيل الضرر ، ويتجلى في وقت السحر ، وينادي : هل من مستغفر ، هل من تائب ، ويستعرض حوائج السائلين ، ويجود على التائبين بخلع الجود والمواهب :

إلـه جلّ عـن شبه ومثـل وعن ندّ يعد وعن مصاحب تفـرد في عـلاه شـريك
ينازعـه عليـه ولا محـارب تحجب حيث شاء فلا يدانى وجلّ عن المماثل والمناسب

تجلّـى للقلـوب فلـيس يخفـى وهل يخفى الحبيب على الحبايب

فسبحانه من إلـه شهدت بوحدانيته السموات وما فيها من العجائب ، وأقرّت بربوبيته الأرضون في مشارقها والمغارب ، واصطفى محمداً ﷺ نبيه المبعوث بالدين الواصب الموصوف بأحسن الأوصاف وأجل المناقب ، الذي شرف الله به الوجود ، وكمل به السعود ، وبلغه أسنى المراتب ، أوجده في مثل هذا الشهر الشريف . وأخرجه مطهراً سالماً من جميع المعايب ، خمدت لولادته النيران ، وخرت لمبعثه الأوثان ، وارتج إيوان كسرى ورمي بالمحن والمصائب ، ومنعت الشياطين من الصعود إلى السماء ، وصمت آذانهم عن خطاب العلا : ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ : [الصافات : ٨-٩] فهو النبيّ الكريم والرسول العظيم المنزل عليه في الآيات والذكر الحكيم ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ : [الصافات : ٦] نبيّ استخرجه الله من عنصر لؤي بن غالب ، وفضله على أهل

المشارق والمغارب ، سمعه يسمع صرير القلم ، بصره إلى السبع الطباق ثاقب ، لسانه ما نطق بالهوى ، ولا تحدث قط بحديث كاذب ، يداه بركاتها في المطاعم والمشارب ، قلبه لا يغفل ولا ينام ، ولكن للخدمة على الدوام مراقب ، قدمه قبلها البعير فزال عنه ما شكاه من المخاوف والمعاطب ، آمن به الضبّ وسلمت عليه الأشجار ، وخاطبته الأحجار وحنّ إليه الجذع حنين حزين نادب :

حداة العيس رفقاً بالنجائب فقلبي سار في إثر الركائب وجسمي ذاب من سقم ووجد
ومن شوق إلى لقيا الحبائب فهل لي من سبيل للتلاقي فدمعي قد غدا مثل السحائب
لئن سمح الزمان بطيب وصل وبلغت المقاصد والمآرب لألتثمن هذا التراب جهرا
وأرويه بأدمعي السواكب وأحظى بالعقيق وساكينه ومن قد حلّ في تلك المضارب
قباب قد حوت بدراً منيراً إذا ما ماس في تلك الذوائب تخرّ له بدور الحسن طوعا
سجوداً في المشارق والمغارب فقل ما شئت عمن ليس تحصى فضائله بحصر أو بكاتب

فمن ذا يستطيع له انحصاراً أيحصى القطر أو رمل الكثائب
عليه من المهيمن كل وقت صلاة ما بدا نور الكواكب
وخص الآل والأصحاب جهراً جميعهم وعترته الأطايب

[روي] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وذكر أبو محمد المكي ، وأبو الليث السمرقندي رحمهما الله : أن آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ، وتقبل توبتي . فقال له الحق جل جلاله : من أين عرفت محمداً ؟ قال : إلهي لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا عليه مكتوب : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً منه عندك ، فتوسلت إليه به . فلما دعا آدم تاب الله عليه وغفر له ببركة نبيه محمد ﷺ :

دمعي على وجنتي من أجلكم يسفح وناظري لسواكم قط ما يطمح
إن كنت أذنبت من لي غيركم يصفح فالصلح عند اللقا بعد الجفا أصلح

ثم إن الله تعالى أودع نور محمد ﷺ في ظهر آدم وأسكنه جنته وأسجد له ملائكته ، ثم عرّفه قدر ما أودعه من السر . ثم قال له : يا آدم تطهر وسبح وقدّس واغش زوجتك على طهارة منك ومنها فإني مخرج منكما نوري ، ففعل آدم ما أمره به ربه فنقل الله نور محمد ﷺ إلى حوّاء وكان ذلك ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من رجب فكان يرى في وجه حوّاء دارة كدارة

الشمس ، فلما وضعت شيئاً عليه السلام انتقل النور إلى جبينه ، فلما كبر وأخذ حدّ الرجال أخذ عليه آدم العهد والميثاق أن لا يضع هذا السر إلا في المطهرات من النساء ، ليصل إلى المطهرين من الرجال ، فما زالت تلك الأنوار تنتقل من أصلاب الأخيار إلى المحصنات من النساء الأطهار وتدنو وتقترب إلى إن وصلت إلى عبد الله بن عبد المطلب :

مازال نور محمد متنقلاً ... في الطيبين الطاهرين ذوي العلا
حتى لعبد الله جاء مطهراً ... وبوجه آمنة بدا متهللا

ولما انتقل النور إلى آمنة ، أمنت به من المخاوف الكامنة ، ظهرت لانتقال نوره الآيات ، تباشرت بقدومه جميع المخلوقات ، نودي في جميع أقطار الأرض والسموات ، يا عرش تبرقع بالوقار ، يا كرسي تدرّع بالفخار ، يا سدرة المنتهى ابتهجي ، ويا أنوار المهابة تبلجي ، يا جنان تزخرفي ، يا حور في القصور أشرفي ، يا معشر الملائكة تمنطقي واصطفي وبالعرش حفي ، يا رضوان افتح أبواب الجنان ، يا مالك أغلق أبواب النيران ، فإن النور المخزون والسر المكنون الذي هو في خزائن قدرتي من الأزل ، في هذه الليلة إلى بطن آمنة قد انتقل ، ظهر عند ذلك صفاء يقينها ، انطوت الأحشاء على جنينها . فأول شهر من شهور حملها تزلزل قصر كسرى . الشهر الثاني امتلأت الأكوان بالبشرى . الشهر الثالث غاضت بحيرة ساوه . الشهر الرابع انقطع وادي سماوه . الشهر الخامس وقفت بحيرة طبرية . الشهر السادس مات أبوه عبد الله للأسرار الخفية . الشهر السابع خمدت النيران . الشهر الثامن انشق الإيوان ، وذل كسرى وهان . الشهر التاسع سقط عن رأس كسرى التاج ، وعظم كربه وهاج ، فسأل عن ذلك الكهان والرهبان . فقيل له قد آن مولد سيد ولد عدنان ، وهو نبيّ آخر الزمان ، المبعوث بالدليل والبرهان ، المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، الذي يظهر دينه على سائر الأديان :

شهر ربيع فاق كل الزمان ... إذ جاءنا فيه الهدى والأمان ... لأن فيه مولد المصطفى
المجتبى الهادي لطرق البيان ... محمد المبعوث من هاشم ... إلى جميع الخلق إنس وجان

صلى عليه الله رب العلا ... ما سار ركب منه يطلب أمان

[وقال ابن أبي زيد] : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل ، فابتهجت الأكوان لقدوم هذا النبي الجليل . ففي أول ليلة منه حصل لآمنة السرور والهنا ، وفي الليلة الثانية بشرت بنيل المنى ، وفي الليلة الثالثة قيل لها : قد حملت بمن

يقوم بحمدنا وشكرنا ، وفي الليلة الرابعة سمعت تسبيح الملائكة معلناً ، وفي الليلة الخامسة رأت في منامها الخليل وقال لها : أبشري بهذا النبي الجليل صاحب النور والسنا ، وفي الليلة السادسة دام السرور والفرح وما فتر ولا ونى ، وفي الليلة السابعة سطع نور الرضا وعمّ ذلك الفنا ، وفي الليلة الثامنة طافت الملائكة ببيت آمنة لما قرب وضعها ودنا ، وفي الليلة التاسعة بدا سعدها والغنى ، وفي الليلة العاشرة زال عنها التعب والنصب والعنا ، وفي الليلة الحادية عشرة وضعت الحبيب المصطفى ، فأشرق البيت وصفاً ، وزال عنها الشك وانتفى ، وابتهجت المروة والصفا . وخرّ عند وضعها ساجداً للعليّ الأعلى ، رافعاً أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل لمولاه ، وفاح في الكون عطره وشذاه ، ضجت الملائكة بالتكبير والتهليل وأشرق الكون بنور وجهه الجليل . . قالت آمنة : ورأيت سحابة بيضاء قد نزلت من السماء فغيبته عني ، وسمعت قائلاً يقول : طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها ، ومرّوا به على أهل البحار كلها ، وعلى الوحوش في فلواتها ، والجن في خلواتها ، واعرضوه على كل روحاني ليعرفوه باسمه وصفته ، وطوفوا به على موالد الأنبياء لتعمهم آثار بركته . قالت آمنة : ثم تجلت عنه السحابة فإذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حرية خضراء ، تسارع إلى خدمته ثلاثة أنفس : مع أحدهم طشت من ذهب أحمر ، ومع الثاني إبريق من الجوهر ، ومع الثالث منديل من سندس أخضر ؛ فغسلوا وجه الحبيب بماء الإبريق ، وأخرجوا من المنديل خاتم التصديق ، ختموا به على ظهر النبي الشفيق ، فتمّ بذلك سعده والتوفيق ، وقائل يقول : خذوه عن أعين الناظرين ، وأعطوه صفوة آدم ، ومعرفة شيث ، ورقة نوح ، وخلة إبراهيم ، واستسلام إسماعيل ، وصبر أيوب ، وحلم يعقوب وجمال يوسف ، وصوت داود وأمر سليمان ، وحكمة ولقمان ، وقوة موسى ، وزهد يحيى ،و بشر عيسى ، وأغمروه في أخلاق النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين . فسبحان من جعل هذا النبي الكريم سلطان الأنبياء ، ونشر له ذكراً ، ورفع له قدراً ، خمدت لولادته النيران ، وأضاءت قصور بصرى وخرّت الأصنام له والأوثان وارتج إيوان كسرى ، فهو صاحب الشفاعة الكبرى ، وبه شرف الله الوجود وجعله رحمة لكل موجود دنيا وأخرى :

لشهر ربيع آية لم تزل كبرى ... به أطلع الرحمن في ليله بدرا
تبدى ونور الحسن فوق جبينه ... فنوّر من الأرض والسهل والوعرا
وأظهر جبريل البشارة معلناً ... يقول لأهل الأرض جاءتكم البشرى

وقد وضعته أمه وهو ساجد وقد ملأ الأكوان من نشره عطرا
فكم ملك من حول منزل أمه يعظمه سراً ويشكره جهرا
وطاف به جبريل شرقاً ومغرباً فحير فيه العقل والذهن والفكرا
وزفوه والأملاك قد أحدقت به وقد ملئوا براً كما ملئوا بحرا
فيا ليت كل الدهر عندي مولد لخير الورى والخلق أجمعهم طرا

[وعن أنس بن مالك ﷺ] قال : « كان رسول الله ﷺ أشجع الناس وأحسن الناس ، وأجود الناس ، وأحلم الناس ، وأكرم الناس ، وأزهد الناس ، وأفصح الناس ، وأكثر الناس تواضعاً ، وأصحهم إيماناً ، وأكثرهم إنصافاً ، وأوسعهم صدراً ، يشكر يسيراً ، ويرحم أسيراً ، ويوقر كبيراً ، ويبدي بشراً وسروراً ، ويصوم هجيراً ، ويقوم ديجوراً ، وناداه العليّ الأعلى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب : ٤٥-٤٦] .

أهدى النسيم إلى الوجود عبيرا لما أتانا بالنذير بشيرا وافى بمولد أحمد الهادي الذي
أهدى إلينا فرحة وسرورا لما بدا وجه النبيّ تهللت كل البقاع وقد نطقن شكورا

وانشق إيوان وغاضت ساوة وانكف كسرى في الأنام كسيرا
وتساقط الأصنام عند ولاده وتصاعد الكهان منه زفيرا
خمدت له نار المجوس تذللاً وغدا به صوب الغمام مطيرا
كم آية في حمله ظهرت فما تخفى وزادت في الزمان ظهورا
ورأته آمنة يسبح ساجداً عند الولاد إلى السماء مشيرا

قالت رأيت عجائباً في وضعه ويظل فيها ذو الحساب حسيرا آيات أحمد لا تحدّ لواصف
ولو أنه أملى وعاش دهورا بشراكمو يا أمة المختار في يوم القيامة جنة وحريرا

فضلتمو حقاً بأشرف مرسل خير البرية بادياً وحضورا
صلى عليه الله ربي دائماً مادامت الدنيا وزاد كثيرا

[إخواني] لما ولد المصطفى راق العيش وصفا ، وزهق الباطل واختفى ، وظهر مصباح الإيمان وما انطفا ، وهب نسيم مولده في جميع الأقطار فاكتست من نوره عزّاً وشرفاً ، فلما هب بأرض فارس أطفأ النيران . فأول من نشفه سلمان ، فجاء مسرعاً إلى الإيمان يقطع المراحل

والكثبان ، حتى فاز برؤية سيد الأكوان ، وأقر بالوحدانية للرحمن ، وأدرك من المختار ما تمنى ، وما خاب سعيه ولا تعنى ، وفاز من المصطفى بقوله ﷺ : « سلمان منا » :

سواك في الكون لا يسمى ولا يكنى لما تجلى لقلبي حسنك الأسنى
من هند من دعد من علوى ومن لبنى الكل عنك رووا يا كامل المعنى

ولما هب ذلك النسيم بأرض الروم ، نشفه المزكوم ، ورحم به المرحوم . فأول من نشقه بلا شك ولا ريب ، سيد أهل الروم صهيب ، فجاء منقاد الزمام إلى الإسلام ، وفاز برؤية خير الأنام ، ونال بصحبته كل القصد والمرام :

ما أومض بارق وما فاح خزام إلا وهاج لي إلى الحب غرام
يا نسمة حيهم خذي لي خبراً قالت لي قد أتيت منهم بسلام

ولما هب ذلك النسيم بأرض اليمن أول من نشقه أويس القرني في السر والعلن ، فبذل نفسه للمصطفى من غير ثمن ، وآمن به على بعد الوطن ، وأثنى عليه الرسول المؤتمن ، بقوله عليه السلام : « إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن » وما كفاه هذا الوصف الحسن حتى خرج له المنشور ببلوغ الوطر يقول المصطفى سيد البشر لعمر رضي الله عنه : « يا عمر إذا رأيت أويساً فسلم عليه واطلب منه أن يستغفر لك فإنه يشفع في مثل ربيعة ومضر » .

هذه نسمة حب من سحيق المسك أعطر ما لمزكوم هواها من شذاها قط مخبر
أنا مجنون هواه والله فيه محير أنا عبد لحبيب هو في العبد مخير
دائماً أرجو لقاه فعسى بالوصل أظفر هكذا قد قال حقا سيد الكون وبشر
كل من يهوى حبيباً فمع المحبوب يحشر

ولما هبّ ذلك النسيم على بلاد الحبشة وجال ، فأول من نشقه بلال ، فجذبته عناية التوفيق بالتصديق إلى الإيمان فأعلن بالأذان وصار شاويشاً لدين الإسلام ، ونشر للمصطفى الرايات والأعلام ، فخصه النبيّ التهاني بالمدح السامي بأن قال : يا بلال أنت تنشر بالذكر أعلامي وترفع به قدري ومقامي فلأجل ذلك ما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك قدامي :

عبد دعاه لقربه مولاه جهراً فباح بسرّ ما أولاه لا غرو أن خلع العذار ممزقا
أطماره فرحاً بما آتاه إن المحب إذا دعي لوصال من يهوى ويأبى كذبت دعواه
قف وقفة العبد الذليل عساه أن يرضى ويرفع حجبه لتراه وإذا سئلت وقيل من هذا الذي
يشكو على أبوابنا بلواه فقل الفقير المستجير بعفوكم يرجو رضاكم كي ينال مناه

[إخواني] سبقت العناية للعبد الحبشي ، وغلبت الشقاوة على العم القرشي ، واستنشق صهيب بالروم ريح المعرفة ، فراح سائحاً في القفار هائماً بحب المختار ، وهبت نسمات القبول والإيمان على سلمان ، فهجر الأهل والأوطان ، وجاء من فارس لرؤية سيد الأكوان ، وسبق لأويس وصفه الحسن بقول الصادق المؤتمن إني « لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن » وينشد مفرداً :

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأقوام

ولما مرّ باليمن ذاك النسيم الغامر نشقه عامر ، فاهتدى إلى الإسلام بعد عبادة الأصنام ، وفاز بتقبيل أقدام سيد الأنام ، ومات على محبته موت الكرام ، وقصته تحير العقول والأفهام . وذلك أن عامر كان يعبد صنماً من الأصنام ، وكانت له ابنة مبتلاة بالفالج والجذام ، وكان مقعدة لا تستطيع النهوض ولا القيام ، وكان عامر ينصب الصنم ويضع ابنته أمامه ويقول له : هذه ابنتي سقيمة فداوها ، وإن كان عندك لها شفاء فاشفها من بلائها وعافها ، وأقام على ذلك سنين وهو لا يطلب لها من الصنم حاجة فيقضيها ، فلما هبت عليه نسمات العناية بالتوفيق والهداية قال لزوجته : إلى متى نعبد هذا الحجر الأصم الأبكم الذي لا ينطق ولا يتكلم وما أظنه على دين أقوم ؟ فقالت له زوجته : اسلك بنا سبيلاً عسى نرى إلى الحق دليلاً ، فلا بد لهذه المغارب والمشارق من إلّه خالق ، فبينما هو على سطح داره معتكف على صنم اغتراره إذ شاهد نوراً قد طبق الآفاق وملأ الوجود بالضياء والإشراق ، ثم كشف الله عن عين بصيرته لينتبه من نوم غفلته ، فرأى الملائكة قد اصطفت وبالبيت قد حفت ، ورأى الجبال ساجدة والأرض هامدة والأشجار قد تمايلت والأفراح قد تكاملت ، وسمع منادياً ينادي : قد ولد النبي الهادي ، ثم أتى إلى الصنم فإذا هو منكوس وقد علته الذلة ووافت إليه العكوس . فقال لزوجته : ما الخبر ؟ ثم حدق إلى الصنم بالنظر فسمعه يقول : ألا إن النبأ العظيم قد ظهر ، وولد من تشرف به الكون وافتخر ، وهو النبي المنتظر الذي يخاطبه الحجر والشجر ، وينشق له القمر ، وهو سيد ربيعة ومضر . فقال لزوجته : أتسمعين ما يقول هذا الحجر ؟ فقالت له : سله ما اسم هذا المولود الذي شرف به الوجود ؟ فقال : أيها الهاتف المتكلم على لسان هذا الحجر الجلمود بالذي أنطقك كما أنطق الجلود في اليوم المشهود ما اسم هذا المولود ؟ فقال : محمد المصطفى ابن زمزم والصفا ، أرضه تهامة ، بين كتفيه علامة ، تظله من الهجير غمامة . فقال لزوجته : اخرجي في طلبه لنهتدي إلى الحق بسببه وكانت ابنته السقيمة في أسفل دار

مقيمة ، فلم يشعر إلا وهي معهما على سطح الدار قائمة فقال لها : يا بنية وأين ألمك الذي كنت تجدينه وسقمك الذي كنت تكابدينه ، وسهرك الذي كنت تواصلينه فقالت : يا أبت بينما أنا نائمة في طيب أحلامي إذا رأيت نوراً أمامي وشخصاً قد أتاني فقلت : ما هذا النور الذي أراه والشخص الذي أشرق عليّ نوره وسناه ؟ فقيل لي : هذا نور سيد ولد عدنان الذي تعطرت بمولده الأكوان . قلت : أخبرني عن اسمه ؟ فقال : اسمه محمد وأحمد ، يرحم العاني ويعفو عن الجاني ، فقلت : فما دينه ؟ قال حنيف رباني ، قلت : فما نسبه ؟ قال : قرشي عدناني ، قلت : فمن يعبد ؟ قال : المهيمن الوحداني ، قلت : فمن أنت أيها المخاطب الروحاني ؟ قال : أنا من الملائكة الذين بشروا بجماله الداني ، قلت : فما تشاهد ما أنا فيه من الألم وتراني ؟ قال : توسلي بجاهه فقد قال ربه القريب الداني : قد أودعته سري وبرهاني ، فلأجيبن من به دعاني ، ولأشفعنه يوم القيامة فيمن عصاني ، فمددت يدي وبناني ، ودعوت الله بجاهه كما بصرني وهداني ، ثم مررت بيدي على جسدي وجسماني ، فاستيقظت وأنا صحيحة كما تراني :

لما دعوت بجاهه رب العلا سمع الدعا مني به وشفاني وعلمت أني قد شفيت بنوره

لما تبدى سيد الأكوان وبجاهه قد زال عني كل ما أشكوه من ألم ومن أحزان

فقال عامر لزوجته : إن لهذا المولود لسراً ونبأ . ولقد سمعنا ورأينا من آياته عجباً ، فلأقطعن في محبته أودية وربا ، ولأجدن في رؤيته طلباً فساروا مجدين ولمكة قاصدين إلى أن وصلوا إليها وقدموا عليها ثم سألوا عن دار آمنة فطرقوا عليها الباب . فبادرت بالجواب . فقالوا لها : أرينا هذا المولود الذي نور الله به الوجود ، وشرف به الآباء والجدود ، فقالت : لن أخرجه لكم فإني أخاف عليه من اليهود ، فقالوا : نحن قد فارقنا في حبه أوطاننا وتركنا أديانا وأتعبنا أبداننا لنرى جمال هذا الحبيب الذي من قصده لا يخيب . فقالت : إذا كان ولا بد من رؤياه فأمهلوا واصبروا قليلاً ولا تعجلوا ، ثم غابت ساعة وقالت لهم : ادخلوا فلما دخلوا وفي البيت حصلوا ، رأوا أنوار الحبيب فذهلوا وكبروا وهللوا . ثم كشف عن وجهه الغطاء فأشرق نور ضيائه وأضاء وطلع عمود نور من وجهه إلى السماء فصاحوا وشهقوا وكادوا أن يصعقوا ، ثم أقبلوا أقدامه وأكبوا عليه وأسلموا على يديه . ثم قالت لهم : أسرعوا فإن جده عبد المطلب قلدني الأمانة أن أخفيه عن الناس وأكتم شأنه . فخرجوا من عند الحبيب وفي قلوبهم من الشوق من الشوق نار ولهيب . ثم وضع عامر يده على قلبه وقد غاب عن

عقله ولبه . ثم صاح وقال : ردوني إلى بيت آمنة واسألوها أن تريني جماله ثانية فرجعوا إلى المنزل ، فلما رآه بادر إليه وأكب على قدميه ثم شهق شهقة ومات في شهقته وعجل الله بروحه على جنته . هذه والله أحوال المحبين العاشقين وصفات الصادقين . فيا أيها اللبيب اسمع هذا صفات الحبيب الذي قد ملأ الكون عزاً وجمالاً . وأضحى نوره في الآفاق يتلألأ ، وكساه الإلّه من ملابس فضله هيبة وجلالاً ، وخفف عن آمنة ببركته من الكروب أثقالاً ، وعطر بمولده الأقطار فتعطرت يميناً وشمالاً :

مولد المصطفى قد حزت إقبالا ... بذكره يبلغ المشتاق آمالا ... يا مدعي الحب فيه وهو ذو وله
في هواه جفا أهلاً وأطلالا ... مت في محبته إن كنت تعشقه ... موله القلب مشتاقاً وإلا لا
فالنوق تعشقه وجداً وتقصده ... شوقاً وتطلب من نعماه إفضالا ... أما تراها إذا لاحت قباب قبا
تحط عنها حداة العيس أثقالا ... بحقه يا إلّهي جد لنا كرما ... بالعفو والصفح إكراماً وإجلالا
فقد لجأنا إلى باب الكريم ومن ... يلجأ إليه يرى رحباً وإقبالا ... هو النبي الذي ضاء الوجود به
وفيه خالفت لواماً وعذالا ... صلى عليه إلّه العرش ثم على ... أهليه والصحب آبادا وآزالا

ثم إن آمنة حصل لها على أثر النفاس ضعف وألم شغلها عن رضاع هذا النبي المحتشم ، فسأل رضاعه الوحش والطير والريح كل يقول رب دعني أرضع صفوتك من خلقك وأكرم خلقك عليك وقالت الملائكة : ربنا أنت تعلم أننا نحبه فمرنا بتربيته لنتشرف بنور طلعته ونحظى ببركته ، فقال الله تعالى : أنا قادر على أن أربيه من غير رضاع ولا سبب ، ولكن سبقت كلمتي وتمت حكمتي وكتبت على نفسي أني إذا أعطيت أحداً شيئاً فلا أعود فيه ، وقد كتبت في الأزل من الحكمة القديمة أنه لا يرضع هذه الدرة اليتيمة والنفس الكريمة غير حليمة الحكيمة ، وكانت حليمة في بلدها مقيمة ولسان القدر يناجيها في ناديها ، وقد حدا بسعدها حاديها :

سيري حليمة وارضعي هذا المفدى ... هذا الذي في حسنه ما زال فردا
هذا الذي لولاه ما عشق الحمى ... كلا ولا كان السرور إليه يهدى
هذا الذي في الحسن أضحى مفردا ... وله قطعنا في السرى عنقاً ووخدا
هذا الذي لولاه ما كان النقا ... يهوى ولا كان المحب يهيم وجدا
وإذا تبدى يا حليمة فابشري ... بالقرب لا تلقين بعد اليوم صدّا
فلك الهنا برضاعه فهو الذي ... عن وجهه قمر الملاحة ما تعدى
وإذا رأيت شمس طلعه وجهه ... ورأيت خداً قد حكى خزاً ووردا

ورأيت ثغراً باللجين مرصعاً ورأيت معنى من معاني الحسن فردا
قولي لبعلك لا تخف هذا الذي نلقي في كل ما تبغيه قصدا

وكان من عادة أهل مكة أن يخرجوا بالأطفال إلى المراضع . قالت حليمة : فأصابتنا سنة لم يأت الغيث فيها ولم تنبت الأرض شيئاً فجئنا في أربعين امرأة نلتمس الرضاع ليواسونا بالرفد . فدخلنا مكة وأتى أهل مكة بأولادهم عند الكعبة ، فوقف كل والد إلى جانب ابنه . فتقدمت كل امرأة فأخذت مولوداً فنظرت أنا فلم أر بقي غير مولود ، وليس إلى جانبه أحد . فسألت عن أبيه فقيل لي : أنه يتيم مات أبوه وأمه حامل به وهي الآن ضعيفة . فقلت لبعلي : لم يبق إلا هذا المولود وهو يتيم لا أب له ، فقال : ويحك خذيه ولا نرجع خائبين ، فلعل الله تعالى أن يرزقنا بأجره وثوابه ، وكان الأمر كذلك . قالت حليمة : فأخذته وإني لضعيفة على أثر نفاسي ، وليس في ثديي قطرة لبن من الضعف والجوع ، قالت : فلما حملته قوي ضعفي واشتدت قوتي ، ثم وضعت ثديي في فمه ، فسال اللبن وتدفق فشرب حتى روي وسمعت قائلاً يقول : طوبى لك أيتها السعدية بهذه النسمة الهاشمية . قالت : ثم ركبت الدابة وكانت ضعيفة لا تستطيع المشي فجعلت تسبق الدواب في القافلة ، فعجب الناس من ذلك . قالت : وكنا إذا نزلنا به تحت شجرة يابسة اخضرت لوقتها وإذا جعلناه في البيت المظلم أضاء وجهه كالمصباح حتى يغلب نوره نور السراج ، فقلت لبعلي : أرأيت ما أرى . فقال : أو ما أخبرتك أنه نسمة مباركة . قالت : فلما وصلنا به إلى المنزل كان عندنا شياه عجاف فأخذنا يده ومررنا بها عليها فدرت لوقتها ، قالت : وكثر الرزق والخير علينا ببركته حتى حسدتنا عليه جميع المراضع ، قالت : وكنت إذا أعطيته ثديه أخذه ، وإذا أعطيته ثدي أخيه لم يأخذه ، فعلمت أنه منصف عادل قالت : وانقطع عنا الغيث ، فقالوا : يا حليمة إن هذا المولود الذي عندك على وجهه نور ، فلو أخذته معك حتى نستسقي به الغيث لكان خيراً لنا ، قالت : فأخرجته لهم ، فأخذوه وحملوه على أيديهم وخرجوا إلى ظاهر البلد فدعوا به ، وإذا السحب قد جاءت بالغيث حتى خفنا الغرق ، قالت : ولم يزل عندنا حتى قضيت رضاعه ، فعزمنا على الرحيل به إلى أمه ، فقال لي بعلي : كيف نرده ، وقد وجدنا الخير والبركة على وجهه ، قالت : فأتينا به إلى أمه فقلت لها : إنا وجدنا الخير والبركة على وجه ولدك ، ونحن نسألك أن تدعيه لنا سنة أخرى . فقالت : خذاه ، فأخذناه وفرحنا به ، وكان يخرج هو وأخوه لرعي الأغنام ، فكان أخوه يقول لحليمة : يا أماه إن أخي الحجازي إذا وقف بقدميه على الوادي اليابس يخضر

لوقته ، وإذا جاء إلى البئر لسقي الأغنام يعلو الماء إلى فم البئر ، وإذا نام في الشمس جاءت غمامة فظللته من حر الشمس ، وتأتي إليه الوحوش وهو نائم فتقبل أقدامه . فقالت له : توصّ بأخيك . فلما كان في بعض الأيام خرجا على عادتهما يلعبان . فجاء أخوه وهو مصفر اللون وقال : يا أماه أدركي أخي الحجازي فقد أصيب . فقلنا : وما شأنه ؟ قال : بينما أنا وأخي نلعب إذ جاء ثلاثة نفر كأن وجوههم القمر عليهم ثياب خضر معهم طست وإبريق من الذهب والفضة فاختطفوه ، ثم أضجعوه وشقوا فؤاده فأدركاه . قالت : فقمنا إليه مسرعين فوجدناه سالماً آمناً فرحاً مسروراً ليس به ألم ولا بفؤاده أثر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : وكان الله سبحانه وتعالى قد بعث إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام . ومعهم طست وإبريق . وماء من الجنة . وماء من الرحيق المختوم ومنديل من السندس الأخضر فأضجعه جبريل فشق صدره بأمر الملك الجليل . وشق قلبه وأخرج منه علقة سوداء وقال : هذا حظ الشيطان منك يا سيد المرسلين ثم صب عليه الماء وأتمّ غسله . ثم أعاد فؤاده كما كان أول مرة فكان يرى أثر المخيط في صدره حتى مات ﷺ . وهو أحد الأقوال في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ : [الشرح : ١] ثم قال جبريل لميكائيل : زنه بعشرة من أمته فوزنه فرجحهم . ثم قال له : زنه بعشرين فوزنه فرجحهم . فقال له : زنه بأهل الأرض كلهم فوزنه فرجحهم فهو بدر الكمال وتاج الجمال وواسطة العقد وهلال الشرف ودرة تاج الكون فجميع الفضائل والمفاخر منسوبة إليه وهو المشفع غداً فيمن يصلي ويسلم عليه ﷺ :

هذا ربيع أتى بالبشر مبتسم ... لأجل طه الذي بالله يعتصم
خير الأنا م حبيب الله شافعنا ... غيث وعون له الإحسان والكرم
في يوم الاثنين أنوار الحبيب بدت ... من مكة وانجلت حقاً به الظلم
وأصبح الكون مسروراً ومبتهجاً ... والأرض تزهو به والبيت والحرم
تقول آمنة في يوم مولده : ... جاء السرور لنا والفضل والنعم
سميت أحمد والباري الكريم كذا ... سماه من قبل ما يجري به القلم
في لوح قدرته باسم الحبيب جرى ... محمد صفوة الباري له الذمم
وعند وضعي رأيت الطير عاكفة ... حولي وقد أقبلت للبيت تلتثم
وجاءني الطير أرخى بأجنحة ... على فؤادي فزال السقم والألم
وما لقيت بحملي فيه من ألم ... مثل النساء التي أودى بها السقم

وخـــرّ فـــوق الثـــرى لله خالقـــه مثل اللبيـب الـذي للأجـر يغتـنم
أصـنام مكـة خـرت عنـد مولـده وأخمد النـار جهـراً وهـي تضـطرم
وقـد غـدا هاربـاً إبلـيس منـذعراً وجنـــده بســـهام الله تنـــهزم
ما نال فخر الـنبي المصـطفى أحـد مـن الأنـام لـه البرهـان والحكـم
ماذا أقول بوصفي في الرسول وقد أثـنى عليـه إلّـه واحـد حكـم
صلى عليه إلّـه العرش ما طلعـت شمس وما لاح ثغر الـبرق يبتسـم

اللهم إننا قد حضرنا مولد نبيك الكريم . فأفض علينا ببركته لباس العز وأسكنا بجواره في دار النعيم ومتعنا في الجنة بالنعيم المقيم . اللهم إنا نسألك بجاه هذا النبي المصطفى وبآلـه أهـل الصدق والرفا كن لنا معيناً ومسعفاً وبوّئنا من الجنة غرفاً وارزقنا ببركته قبـولاً وعـزاً وشـرفاً . اللهم إنا نتوسل إليك بنبيك المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار كفر عنـا الـذنوب والأوزار واحرسنا من جميع المخاوف والأخطار ومتعنا برؤيته في دار القرار وتقبل من ما قدمناه من يسير أعمالنا في السر والإجهار وارحمنا بقدرتك واغفر لنا إنك عفوّ غفار ، برحمتك يا أرحم الـرحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم تسليماً .

المجلس الثاني والخمسون
في زيارة النبيّ ﷺ

الحمد لله الذي دعا عباده الأبرار ، إلى أشرف بيت وأعظـم مـزار ، يسـر لهـم الطريـق ، وجعل دليلهم التوفيق ، فبلغوا المقاصد والأوطار . أقامهم على بابه وقرّبهم من جنابه فحصل لهم العز والفخار وعدهم بالضيافة والقرى ، فقطعوا المفاوز إلى أم القرى ، ولذّ لهم قطـع القفـار ، كتب في قلوبهم الإيمان وعاملهم بالرضوان ، فطافوا بالبيت والأركـان والأسـتار . بشـرهم في منى بنيل المنى وأراحهم في الخيف من الخوف والعنا وسائر الأخطار . رقاهم إلى عرفان عرفـات ، ليكفر عنهم السيئات والأوزار ، نفروا من ذنوبهم إليـه ، وثـابوا بالمزدلفـة بـين يديـه في فـرح

واستبشار ، كتب لهم رضوان الإنعام ، عند المشعر الحرام ، بالنجاة من النار . كشفوا رؤوسهم وحلقوا شعورهم ، وأكثروا تسبيحهم وتقديسهم للكريم الغفار . قربوا هداياهم ونحروا ضحاياهم فوعدهم بالأجور الغزار ومحا عنهم صحائف الذنوب وأراحهم من الكروب عند رمي الجمار فإذا طافوا للوداع وعزموا على الارتجاع حثوا نجائب الشوق بسرعة السوق إلى النبي المختار يا له من نبي أرسله الله تعالى بالمعجزات والدلائل واستخرجه من أشرف القبائل وشرف به مضر ونزار وجعل دينه الأقوم وشرعه المعلم فكل حرف من حروف المعجم يشهد له برفيع الرتبة والمقدار قوّم ألف قامته فأشرقت بباء بهجته الشموس والأقمار حرسه بتاء التأييد من كل شيطان مريد وثبته في سائر الحركات بثاء الثبات فعد وما جار توجّه بجيم الجود والوفاء وحباه بحاء الحلم والاصطفاء . وخصه بخاء الاختصاص والصفاء من سائر الأكدار داواه بدال دوام الإحسان ، فخرت لهيبته الأصنام والأوثان ، وأصبحت بذال الذل والهوان في انتكاس واحتقار أرسله براء الرحمة وزاي الزهادة والقناعة . وميزه بسين السيادة وشين الشفاعة في أهل الذنوب والأوزار . صانه بصاد الصيانة . وقلده بسيف الأمانة . وأتحفه بضاد الضياء والأنوار . فتح له طاء طريق الإقبال وأنقذ أمته به من ظاء الظلم والضلال . فأصبحت مسرورة بفاء الفرح والاستبشار وشرفه بقاف قاب قوسين . وأكرمه بكاف كلامه المنزه عن الريب والمين . ولاطفه بلام لطفه المقدس عن الشك والشين . ومنّ عليه بميم منه فأطلعه على الأسرار . أخمد لنوره نار فارس وأذل لهاء هيبته الفرسان العوابس . وتوجه بواو الوقار وميزه في العالمين بياء اليقين . وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين . وأنزل عليه في كتابه المبين بالفضل والفخار ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ : [الفتح : ٢٩] .

يا حادياً يحدو لخير الورى ... هيجت في قلبي من الشوق نار ... سر بي رعاك الله مع فتية
ما لي عنهم منذ ساروا اصطبار ... يا جيرة حلوا بوادي قبا ... رميتمو في القلب منكم جمار
أنتم كرام يا عريب النقا ... وجاركم من كل جور يجار ... نلت بكم كل المنى في منى
وليس لي ما عشت عنكم قرار ... في عرفات قد عرفت الهوى ... وقد غدا سر التداني جهار
متى أرى الأحباب قد واصلوا ... ويجمع الشمل بقرب المزار ... ويبعد البعد ويدنو اللقا
ويفرح القلب وتدنو الديار ... وأعزم السير إلى من به ... تمحى الخطايا وتقال العثار
المصطفى المختار خير الورى ... وخير من تطوى إليه القفار ... وخير من تأتي ملوك الورى
لبابه بالذل والانكسار ... صلى عليه الله ما رنمت ... حمامة الأيك وغنى الهزار

[روي] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني رحمه الله . وقال رسول الله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وقال رسول الله ﷺ : « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني » رواه الإمام عليّ كرّم الله وجهه . وقال رسول الله ﷺ : « من زارني في قبري فكأنما زارني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين ، وإن بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » . وقال رسول الله ﷺ : « من زارني بعد وفاتي وسلم عليّ رددت عليه السلام عشراً وزاره عشرة من الملائكة كلهم يسلمون عليه ، ومن سلم عليّ في بيته رد الله تعالى عليّ روحي حتى أسلم عليه » ، وقال ﷺ : « من حج وزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في المعنى :

زر من تحب وإن شطت بك الدار ... وحال من دونه ترب وأحجار
لا يمنعنك بعد عن زيارته ... إن المحب لمن يهواه زوّار

[وعن علي بن أبي طالب ﷺ] قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا النبي ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، ثم قال : يا رسول الله السلام عليك صلى الله عليك قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ : [لنساء : ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي ، فنودي من داخل القبر : يا هذا قد غفر لك :

إن كنت تغدو في الذنوب جليداً ... وتخاف في يوم المعاد وعيدا
فلقد آتاك من المهيمن عفوه ... وأباحك الإيمان والتوحيدا

[وعن أبي الحسن الوصوفي رحمه الله] قال : وقف حاتم الأصم على قبر النبي ﷺ فقال : يا رب إنا قد زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين ، فنودي : يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر نبينا إلا وقد طهرناك ارجع ومن معك من الزوار مغفور لكم فإن الله عز وجل قد رضي عنك وعمن زار قبر نبيه محمد ﷺ .

[وعن أبي الفضل رحمه الله] أن أعرابياً أتى قبر النبي ﷺ فقال : اللهم إنك أمرت بعتق العبيد على رؤوس قبور الأحباب ، وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني على رأس قبر حبيبك من

النار ، قال : فهتف بي هاتف تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق لأعتقهم على رأس قبر هذا الحبيب ، اذهب فقد أعتقناك يا أعرابي :

أستغفر الله مما كان من زللي ... ومن ذنوبي وإفراطي وإصراري
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد ... أحكمت حبل الرجا يا خير غفار
إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذاكر ما ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

[وعن أبي عبد الله محمد بن العلاء رحمه الله] قال : دخلت المدينة وقد غلب عليّ الجوع فزرت قبر النبي ﷺ وسلمت عليه وعلى الشيخين رضي الله عنهما ، وقلت : يا رسول الله جئت وبي من الفاقة والجوع ما لا يعلمه إلا الله عز وجل وأنا ضيفك في هذه الليلة ، ثم غلبني النوم فرأيت النبي ﷺ في المنام فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه ثم انتبهت من المنام وفي يدي نصفه الآخر فتحقق عندي قول النبي ﷺ : « من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي » ثم نوديت : يا عبد الله لا يزور قبري أحد إلا قد غفر له ونال شفاعتي غداً :

من زار قبر محمد ... نال الشفاعة في غد ... بالله كرر ذكره ... وحديثه يا منشدي
واجعل صلاتك دائما ... جهراً عليه تهتدي ... فهو الرسول المصطفى ... ذو الجود والكف الندي
وهو المشفع في الورى ... من هول يوم الموعد ... والحوض مخصوص به ... في الحشر عذب المورد
صلى عليه ربنا ... ما لاح نجم الفرقد

[وعن أبي الفضل محمد بن نعيم رحمه الله] قال : كان محمد بن يعلى الكناني رحمه الله يزور قبر النبي ﷺ كثيراً ويراه في المنام كثيراً فخرج لزيارة قبر النبي ﷺ يوماً فاندقت رجله فتعوق عن زيارته فخرج الحاج ، فكتب الكناني رقعة وناولها لبعض الحجاج وقال له : إذا وصلت إلى قبر النبي ﷺ فارم بهذه الرقعة إلى القبر وقل : يا رسول الله إن الكناني يقرئك السلام ويقول لك قد عرفت العذر الذي عاقه عنك ، فلما فعل الرجل ذلك رأى الكناني في نومه رسول الله ﷺ وهو يقول : كناني قد وصلت رقعتك وعذرناك :

يا حبيب القلوب يا خير ذخري ... ضاق من أجل عاقني عنك صدري
عوقتني الأعذار عنك فيا من ... هو قصدي وعساك تقبل عذري

[وحكى العتبي رحمه الله] قال كنت عند قبر رسول الله ﷺ فرأيت أعرابياً قد أقبل على بعير له فنزل عنه ثم أتى قبر النبي ﷺ ، فقال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا صفوة الله

أنت الذي أنزل الله عليك : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] وقد ظلمت نفسي وهاأنا قد أتيتك أستغفر من ذنبي فاشفع لي عند ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت النبي الذي ترجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم
أنت البشير النذير المستضاء به ... وشافع الخلق إذ يغشاهم الندم
تخصهم بنعيم لا نفاد له ... والحور في جنة المأوى لهم خدم
تعطى الوسيلة يوم العرض مغتبطاً ... عند المهيمن إذ ما تحشر الأمم
والحوض قد خصك الله الكريم به ... يوماً عليه جميع الخلق تزدحم
تسقي لمن شئت يا خير الأنام وكم ... قوم لعظم الشقا والبعد قد حرموا
صلى عليك إلّه العرش ما طلعت ... شمس وحنّ إليك الضال والسلم

قال العتبي : ثم غلبني النوم فرأيت رسول الله ﷺ فقال : يا عتبي أدرك الأعرابي وبشره أن الله قد غفر له :

سلام على قبر النبي محمد ... نبي الهدى والمصطفى والمؤيد
وكان رسول الله أفضل من مشى ... على الأرض إلا أنه لم يخلد
شهدت على أن لا نبوّة بعده ... وأن ليس حي بعده بمخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه ... وخير الورى الهادي المشفع في غد
وأكوابه مثل النجوم وحوضه ... لوارده فازوا بأعذب مورد
فيا خير مبعوث إلى خير أمة ... ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك يا خير الأنام شفاعة ... بها أرتجي سؤلي وأبلغ مقصدي
عليك سلام الله يا خير مرسل ... وأشرف مخلوق وأكرم سيد

[وقال بعضهم] : رأيت أنس بن مالك ﷺ أتى قبر النبي ﷺ ورفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ، ثم انصرف ﷺ . وروى ابن وهب ﷺ عن مالك ﷺ أنه كان إذا سلم على النبي ﷺ يدنو من القبر ويوجه وجهه إلى القبر ويسلم ويدعو ولا يمس القبر بيده .

ولزائر قبر النبي ﷺ عشر كرامات : إحداهن يعطى أرفع المراتب ، الثانية يبلغ أسنى المطالب ، الثالثة قضاء المآرب ، الرابعة بذل المواهب ، الخامسة الأمن من المعاطب ، السادسة التطهير من المعايب ، السابعة تسهيل المصائب ، الثامنة كفاية النوائب ، التاسعة حسن العواقب ، العاشرة رحمة رب المشارق والمغارب . وقال بعضهم : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقلت له : يا رسول الله هؤلاء الذي يأتونك ويسلمون عليك يعني الحجاج وغيرهم أتفقه قولهم ؟ قال : نعم وأردّ عليهم . فيا أيها الكئيب انظر ما أجمل صفات هذا الحبيب ، وما أكرمه على القريب المجيب ، تسلم عليه من البعيد الأقصى فيردّ عليك السلام ، وتطلب شفاعته فيشفع لك عند الملك العلام ، وتنقطع عن زيارة قبره فيتشوق إليك على الدوام ، وتقعد عن المسير إليه لاشتغالك بالدنيا وجمع الحطام ، فيأتي إليك زائراً في المنام ، فإن عزمت على المسير إليه ركبت ظهور الأنعام ، ولو أنصفت لسعيت على الرأس لا على الأقدام ، وهو ساترك في الدنيا من الذنوب والآثام وشافعك غداً وقائدك إلى دار السلام ، فهل رأيت حبيباً يعامل أحبابه بهذه الأوصاف ، أو يلاطفهم بمثل هذه الألطاف ؟ تالله إنك ما رأيت مثله ، ولا ترى فكيف تطيق منه مصطبراً ، أم كيف لا تظهر عليه تلهفاً وتحسراً ؟ هذا وقد بصرك بالكتاب والسنة فأصبحت متبصراً ، ووعدك بالجنة وكان لك مبشراً ، فيا من يدّعي حبه قد كذب في دعواه وافترى ، أين موافقتك لأفعاله ، أين اتباعك لأعماله وأقواله ؟ إنك والله لن تقفو من أثره أثراً ، أما بلغك أنه كان يبيت من الجوع طاوياً ويصبح من التهجد ذاوياً ، ومن الصيام خاوياً ؟ وقد عرضت عليه الكنوز فلم يعرها نظراً . كان يقطع الليل سهراً ويبسط لمولاه كفاً مفتقراً ، وينكس رأساً معتذراً ، ويسأل في خلواته لأمته أن تدخل الجنة زمراً :

يا سائقاً يطوي السباسب والثرى ... مهلاً فإن الخير في أم القرى
لا تنزلن بغير طيبة إنها ... سطعت بأنوار الرسول كما ترى
عجباً لتربتها تداس ولو درى الـ ... ـماشي بها ما داس مسكاً أذفرا
شوقي لتلك الأرض شوق موله ... ولع البكاء بطرفه فاستعبرا
ذو صبوة ما هبّ ريح هواكمو ... إلا وحنّ لطيبة وتذكرا
يهوى الضريح ويشتهي لو زاره ... ويودّ ذلك أنه لو قدرا
يا عيشنا الماضي القديم بيثرب ... خلفت عندي حسرة وتفكرا
أترى يساعدنا الزمان ونلتقي ... ويعود غض العيش غصناً أخضرا

وأفوز بالحرم الشريف فإنه حرم ضياء صباحه قد أسفرا
وأمرغ الخدّين في الأرض التي اختار مدفنه بها وتخيرا
هي خير أرض شرفت وتقدست بحلول من هو في الورى خير الورى
المصطفى المختار أكرم مرسل للعالمين وخير من وطىء الثرى
هذا الذي ظهرت معاجزه فقل ما شئت عنه محدثاً ومخبرا
من كفه نبع الزلال وعاد من بين الأصابع سائلاً متفجرا
وكذاك عين قتادة قد ردها بعد العمى فرأى بها وتبصرا
وأتى لأخمصه البعير مقبلاً وشكا إليه وقد أطال وأكثرا
نسجت عليه العنكبوت فبابه من بعد ذلك للبرية لا يرى
وكذاك أشجار الفلاة أتت له سعيا وإنكاراً على من أنكرا
وجريدة رجعت بكف محمد سيفاً وعاد كما علمت مجوهرا
ورفاعة نقل الحديث منعنعاً وبكل ما أخبرته لك أخبرا
وعليه سلمت الغزالة مثل ما أبدى البعير له السلام بلا مرا
والشاة لما أعجفت وهزالها للجسم أصبح مسقماً ومغيرا
عجزت عن المرعى فلم ترعى وقد طوت الفؤاد من الطوى فتضمرا
وأمرّ راحته على ضرع لها فجرى وسحّ كمزنة وتحدرا
وله حنين الجذع أعظم شاهد فاشهد ودع من قال زوراً وافترى
وكذا ذراع الشاة خاطبه فإن أنكرت ذاك فقد فعلت المنكرا
والذئب جاء إلى النبي محمد قصداً ومرغ خده فوق الثرى
وبتفله في البئر بعد ملوحة من ذاق منها ذاق حلواً سكرا
وانشق في أفق السماء لأحمد قمر وخرّ من الثريا الثرى
والغار فيه عجائب مشهورة ظهرت وحق لمثلها أن يظهرا
وأتاه جبريل الأمين بإذن من خلق الخلائق كيف شاء وصورا
ناداه قم وارق في البراق بإذن من رفع الطباق فأنت أكرم من سرى
وإذا الصباح تبلجت أنواره فلتحمدن هناك عاقبة السرى
فرقى على متن البراق وجال في الـ ـملكوت ليلاً والضحى ما أسفرا

وبسائر الأملاك صلى قائماً ... شكراً وسبح ربه واستغفرا
ثم انتهى للمنتهى من سدرة ... والصدر حيث أقام زاد تصدّرا
ولأحمد جبريل قام مخاطباً ... سر آمناً سيراً سريعاً أكبرا
فتقدّم المختار وهو مقدم ... دون الأنام ومن عداه تأخرا
قطع المسافة والمقامات التي ... وقف التفكر دونها وتحيرا
ما زال إذا سمع الخطاب فلا تكن ... فيما سمعت مقدماً ومؤخرا
والله خص محمداً بسلامه ... لما رقى ولقد رقى أعلى الذرا
فهو البشير الشاهد العلم الذي ... للناس أنذر حين جاء وبشرا
قسماً لقد أعطي مواهب لم تكن ... لسواه فافهم سرها وتدبرا
الله أعطاه الفضائل كلها ... وأناله ما قد أنال وأكثرا
في حضرة الملكوت بان محله ... ولقد حوى قدراً هناك ومفخرا
وعليه قد دارت كؤوس محبة ... وبها تخصص وحده دون الورى
هبت على الأكوان منها نفحة ... فتمايلت طرباً وخرّ لها حرا
من كان ساقيه الحبيب فكيف لا ... يزداد سكراً في الوجود لما يرى
طوبى لمن قد ذاق منها قطرة ... ولو أنها بالكون أجمع تشترى
هي خمرة العهد القديم فمن سقي ... منها تكامل عقله وتجوهرا
قوموا ندامى الراح في غسق الدجى ... فحبيبكم كشف الحجاب لمن يرى
ولحانها جدّوا المسير وشمروا ... فلقد يفوز بشربها من شمرا
للسكر أقوام له صلحوا لقد ... نالوا نصيباً من رضاه موفرا
قطعوا العلائق من سواه تلذذاً ... بهواه حتى العسر صار ميسرا
باعوا الذي يفنى بما يبقى فقد ... ربحت تجارتهم فنعم المشترى
وجميع ما نالوا بجاه محمد ... وبجاهه محي الذي قد سطرا
صلى عليه الله ما اخترق العلا ... ركب تنجد في المسير وغورّا
وعليه صلى الله جل جلاله ... ما أم ركب في الدجى أمّ القرى
وعليه صلى الله ما لمع الضيا ... وأضاء قنديل الصباح ونورا

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : اللهم ارزقنا في الدنيا زيارته وفي

الآخرة شفاعته ، وأحينا على محبته ، وأمتنا على سنته ، واحشرنا في زمرته ، وأرنا وجهه ، واسقنا من حوضه ، واجعلنا ممن فاز بصحبته ولا تخالف بنا عن طريقته وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، برحمتك يا أرحم الرحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسلمياً كثيراً .

المجلس الثالث والخمسون

في مناقب الخلفاء الأربعة :

أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين

الحمد لله الكريم الغفار ، الحليم الستار ، مكورّ الليل على النهار ، وكل شيء عنده بمقدار ، حارت في قضاياه العقول والأفكار ، وتاه في بيداء أبديته أولو البصائر والاعتبار ، قهر الجبابرة بقهر عزته فهو الواحد القهار ، وكسر الأكاسرة بقوة سطوته فهو العظيم الجبار . كوّن الأكوان ودبر الزمان فلا يحتاج إلى أعوان وأنصار ، لا يقادر قدره ولا يستحق العبادة غيره ، قد عم إحسانه سائر الأماكن وجميع الأقطار ، يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا في قرار البحار . يعلم سر العبد عند مآله ومنقبله ، ويطلع على ضميره عند قصده وطلبه ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ : [الرعد : ١٠] فسبحانه من إلّه اصطفى واجتبى وانتفى وارتضى واختار ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ ﴾ : [القصص : ٦٨] واصطفى محمداً ﷺ نبيه المنتخب ورسوله المختار ، واجتبى أبا بكر الصديق وخصه بالتصديق والهيبة والوقار ؛ وانتقى للصواب عمر بن الخطاب فحلا ذكره وطاب للبادين والحضار ؛ وارتضى عثمان بن عفان لجمع القرآن فجمعه ما بين أخماس وأعشار ؛ واختار علي بن أبي طالب لتفريق الكتائب وإظهار العجائب وإشهار ذي الفقار ، فهم الذين نزل في حقهم على لسان رسوله المختار : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾: [الفتح : ٢٩] فأبو بكر مؤنسه في الغار ،

وعمر وزيره وأمينه على الأسرار ، وعثمان المقتول بيد العدوان ، شهيد الدار ، وعلي بن أبي طالب ابن عمه ووارث علمه الفارس الكرار فهؤلاء خلفاؤه ووزراؤه الأئمة الأبرار ، الذي وفوا للنبيّ ﷺ بعهودهم وقد جرت بسعودهم الأقدار ، وتابعوه وبايعوه على ما يحب ويختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأخيار ، وفي المعنى :

الطرف في معناك حار ... يا من له أبداً يشار ... وحياة حبك لا سلو ... ت وإن سلوت على عار
كيف السلوّ وأنت في ... قلبي وإن نأت الديار ... يا أيها الهادي البشيـ ... ـر الهاشمي المستنار
قد خصك الله الكريـ ... ـم بصحبة الشيخ الوقار ... وكذاك في عمر الذي ... عمر الشريعة باشتهار
والبرّ عثمان الذي ... نال الشهادة والفخار ... وعليّ البطل الرضا ... مردي الطغاة بذي الفقار
فهم أصحاب المصطفى ... ملخاف من بهم استجار ... فعليه صلى ربنا ... ما ناح في الصبح الهزار

وعلى الصحابة بعده ... ما زمزم الحادي وسار

[وروى أبو ذر ﷺ] عن النبي ﷺ أنه قال : « من أدخل السرور على أصحابي فقد أدخل السرور عليّ ، ومن أدخل السرور عليّ فقد سرّ الله ، ومن سر الله كان حقاً على الله أن يسره ويدخله الجنة » . وقال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي » رضي الله عنهم أجمعين . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أجيء يوم القيامة وأبو بكر عن يميني وعمر عن شمالي وعثمان من ورائي ، وعلي بين يدي ومعه لواء الحمد وعليه شقتان شقة من السندس وشقة من الإستبرق ، فقام إليه أعرابي فقال : فداك أبي وأمي يا رسول الله عليّ يستطيع أن يحمل لواء الحمد ؟ قال : كيف لا يستطيع حمله ، وقد أعطي خصالاً : صبراً كصبري وحسناً كحسن يوسف وقوة كقوة جبريل ، وإن لواء الحمد بيد علي بن أبي طالب وجميع الخلائق يومئذ تحت لوائي » . روى علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« رحم الله أبا بكر زوّجني ابنته وحملني على ناقته إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً ، رحم الله عثمان تستحي منه الملائكة رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار » وفي المعنى :

همو صحابة خير الخلق أيدهم ... رب السماء بتوفيق وإيثار
فحبهم واجب يشفى السقيم به ... فمن أحبهمو ينجو من النار

[وروي عن النبي ﷺ] أنه قال لأبي بكر ﷺ : « يا أبا بكر خلقني الله عز وجلّ من جوهرة من نور ، فنظر إليها الربّ جلّ جلاله وتقدست أسماؤه ، فأوقفني بين يديه فاستحييت منه

فعرقت فسقط مني أربع نقط فخلقك يا أبا بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية وخلق عثمان من الثالثة وخلق علياً من الرابعة فنورك يا أبا بكر ونور عمر وعثمان وعليّ من نوري » .

وقال ﷺ : « إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين ، فاختار من أصحابي أربعة : أبا بكر وعمر وعثمان وعليّ بن أبي طالب » رضي الله عنهم أجمعين . وروي عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عزّ وجل افترض عليكم حبّ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أبغض واحداً منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً ويحشر من قبره إلى النار » .

وروى أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لحوضي أربعة أركان فأول ركن منها في يد أبي بكر والثاني في يد عمر والثالث في يد عثمان والرابع في يد عليّ ، فمن أحبّ أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحبّ عمر وأبغض عثمان لم يسقه عمر ومن أحبّ عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان ومن أبغض عثمان وأحبّ علياً لم يسقه عليّ ، فمن أحبّ أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحبّ عمر فقد كتب من المؤمنين ، ومن أحبّ عثمان فقد استنار بالنور المبين ، ومن أحبّ علياً فقد أحسن والله يحبّ المحسنين ، ومن أحسن الظن فيهم فهو مؤمن ، ومن أساء الظن فهو منافق » . وفي المعنى :

من أحسن الظن في الله الكريم وفي ... رسوله كان مكتوباً من الشرفا
ومن أحبّ صحاب المصطفى فله ... جنان عدن يرى في ظلها غرفا
ومن يكن باغضاً فيهم فإن له ... نار الجحيم ويضحى باكياً أسفا
فهم نجوم الهدى في كل مظلمة ... والله حسبي فيما قلته وكفى

[وعن أبي هريرة ﷺ] قال : « كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذا أقبل أبو بكر الصديق ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : مرحباً بالمواسي بما له مرحبا بالمؤثر على نفسه . ثم أقبل عمر بن الخطاب ﷺ فقال : مرحبا بالمفرّق بين الحق والباطل مرحباً بمن أكمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين . ثم أقبل عثمان بن عفان ﷺ فقال : مرحباً بصهري وزوج ابنتي الذي جمع به نوري ، السعيد في حياته الشهيد في مماته ، ويل لقاتله من النار . ثم أقبل علي بن أبي طالب ﷺ فقال : مرحباً بأخي وابن عمي والذي خلقت أنا وهو من نور واحد » معاشر المسلمين هؤلاء لا يتفق حبهم إلا في قلب مؤمن ولا يتفرق إلا في قلب منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله .

وفي المعنى أيضاً :

حب النبي على الإنسان مفترض ... وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقه ... لا يرمينّ أبا بكر ببهتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه ... ولا الخليفة عثمان بن عفان
ولا علياً أبا السبطين نعم فتى ... وصى به الله في سر وإعلان
ركن الشريعة بحر العلم منتخب ... والبيت لا يستوي ألا بأركان
شاعت مناقبه في الناس كلهم ... ما بين علم وأحكام وتبيان
لا تستطيع العدا منه محاربة ... ولو أتوه بأبطال وشجعان
فهم صحابة خير الخلق خصهم ... رب العباد بجنات ورضوان
فمن أحبهم قد نال منزلة ... عند الإله وجازه بإحسان
عليهم من سلام الله أطيبه ... ما ناحت الورق في أوراق أغصان

[وروى أبو سعيد الخدري ﷺ] عن النبي ﷺ أنه قال : « دخلت الجنة فبينما أنا أطوف في رياضها وبين أنهارها وأشجارها إذ ضربت بيدي إلى ثمرة فأخذتها فانفلقت في يدي على أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت ظفرها لفتنت أهل السموات والأرض ولو أخرجت كفها لغلب ضوؤها ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والأرض مسكاً من رائحتها . فقلت للأولى : لمن أنت ؟ قالت : لأبي بكر الصديق ، فقلت : امضي إلى قصر بعلك فمضت . وقلت للثانية : لمن أنت ؟ فقالت : لعمر بن الخطاب ، فقلت : امضي إلى قصر بعلك فمضت . وقالت للثالثة : لمن أنت ؟ قالت : للمختضب بدمه المقتول ظلماً عثمان بن عفان ، فقلت لها : امضي إلى قصر بعلك فمضت . وقلت للرابعة : لمن أنت ؟ فسكتت . ثم قالت : والله يا رسول الله إن الله تعالى خلقني على حسن فاطمة ، ولقد سماني على اسمها وإن الله تعالى زوجني من علي بن أبي طالب ﷺ قبل أن يتزوج فاطمة بألفي عام » فهم خلفاء النبي ﷺ وأنصاره وأصحابه ، وهم حافون به يوم القيامة إلى دار الكرامة :

فهم صحاب المصطفى ... وهم الخواص من الأمم ... أهل المآثر والمفا ... خر والفتوة والكرم
وبعدهم سادوا الورى ... وبنورهم تجلى الظلم ... خلفاء أفضل شافع ... للخلق في يوم الندم
صلى عليه ربنا ... ما سحّ دمع وانسجم ... وعلى صحابته الكرا ... م الظاهرين أولي الشيم

وقيل : إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كان في بعض أشغال النبي ﷺ فأدركتهما صلاة العصر . فقال عمر بن الخطاب لعثمان رضي الله عنهما : تقدم فصلّ بنا .

فقال عثمان ﷺ : أنت أولى مني بالتقدم يا عمر فإن رسول الله ﷺ قدمك وأثنى عليك . فقال عمر ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم الرجل عثمان صهري وزوج ابنتي ومن جمع الله به نوري » . فقال عثمان ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عمر أكمل الله به الإسلام » . فقال عمر ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عثمان تستحي منه الملائكة » . فقال عثمان ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عمر كمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين » ، فقال عمر ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن » ، فقال عثمان ﷺ أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام » ، فقال عمر ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقك : « غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة ، فقال عثمان ﷺ : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقك : « اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب » وسماك رسول الله ﷺ الفاروق وفرق الله تعالى بك بين الحق والباطل ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعا لهما وشكرهما على حسن أدبهما بعضهما مع بعض :

طوبى لمن قلبه بالله مشتغل ... يبكي النهار وطول الليل يبتهل
خوف الوعيد وذكر النار أذهله ... والدمع منه على الخدين ينهمل
يهوى صحابه خير الخلق كلهم ... فحبهم واجب يرجى به الأمل
الله فضلهم حقاً وشرّفهم ... بالمصطفى وبه قد ضاءت السبل
صلى عليه إلّه العرش ثم على ... أهليه والصحب ما حنت له الإبل

[وروى أبو هريرة رضي الله عنه] أن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قدما يوماً إلى حجرة رسول الله ﷺ . فقال علي لأبي بكر رضي الله عنهما : تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألحّ عليه ، فقال أبو بكر : تقدم أنت يا علي ، فقال علي ﷺ : ما كنت بالذي يتقدم على رجل سمعت رسول الله ﷺ يقول في حقه : « ما طلعت الشمس ولا غربت من بعدي على رجل أفضل من أبي بكر الصديق » . فقال أبو بكر ﷺ : ما كنت بالذي يتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « أعطيت خير النساء لخير الرجال » . فقال علي ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى صدر إبراهيم الخليل

فلينظر إلى صدر أبي بكر الصديق » . فقال أبو بكر ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام وإلى يوسف وحسنه وإلى موسى وصلاته وإلى عيسى وزهده وإلى محمد ﷺ وخلقه فلينظر إلى علي » . فقال علي ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع العالم في عرصات القيامة يوم الحسرة والندامة ينادي مناد من قبل الحق عز وجلّ يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوك الجنة » ، فقال أبو بكر ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ يوم حنين وخيبر وقد أهدى إليه تمر ولبن : « هذه هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب » ، فقال علي ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « أنت يا أبا بكر عيني » ، فقال أبو بكر ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « يجيء عليّ كرّم الله وجهه على مركب من مراكب الجنة فينادي مناد : يا محمد كان لك في الدنيا والد حسن وأخ حسن . أما الوالد الحسن فأبوك إبراهيم الخليل ، وأما الأخ فعليّ بن أبي طالب ﷺ » . فقال عليّ ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يجيء رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول : يا أبا بكر الربّ جل جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجنة ومفاتيح النار . ابعث من شئت إلى الجنة وابعث من شئت إلى النار » . فقال أبو بكر ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « إن جبريل عليه السلام أتاني فقال لي : يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : أنا أحبك وأحب علياً فسجدت شكراً ، وأحب فاطمة فسجدت شكراً ، وأحبّ حسناً وحسيناً فسجدت شكراً » ، فقال علي ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح عليهم » . فقال أبو بكر ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « إن علياً يجيء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مراكب من البدن ، فيقول أهل القيامة : أي نبي هذا ؟ فينادي مناد ، هذا حبيب الله ، هذا عليّ بن أبي طالب » . فقال علي ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « غداً يسمع أهل المحشر من ثمانية أبواب الجنة ادخل من حيث شئت أيها الصديق الأكبر » . فقال أبو بكر ﷺ : أنا لا أتقدم علي رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « بين قصري وقصر إبراهيم الخليل قصر عليّ بن أبي طالب » . فقال عليّ ﷺ : أنا لا أتقدم علي رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « إن أهل السموات من الكروبيين والروحانيين والملأ الأعلى لينظرون في كل يوم إلى أبي بكر الصديق » . فقال أبو بكر ﷺ : أنا

لا أتقدم على رجل قال الله تعالى في حقه وحق أهل بيته : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ : [الإنسان : ٨] . فقال عليّ ﷺ : أنا لا أتقدم على رجل قال الله تعالى في حقه : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ : [الزمر : ٣٣] فنزل جبريل عليه السلام إلى الصادق الأمين ، من عند رب العالمين ، وقال : يا محمد العليّ الأعلى يقرئك السلام ، ويقول لك إن ملائكة السبع السموات لينظرون في هذه الساعة إلى أبي بكر الصديق وإلى علي بن أبي طالب ويستمعون ما جرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعضهما لبعض فقم إليهما وكن ثالثهما فإن الله تعالى قد حفهما بالرحمة والرضوان ، وخصهما بحسن الأدب والإسلام والإيمان ، فخرج النبي ﷺ إليها فوجدهما كما ذكر له جبريل ، فقبل النبي ﷺ وجه كل واحد منهما . وقال : « وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مداداً ، والأشجار أقلاماً ، وأهل السموات والأرض كتاباً لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما :

من ذا يطيق بأن يحصي الثناء على ... محمد وعلى الصدّيق صاحبه
وقد رقى عمر الفاروق منزلة ... وحاز عزاً وفخراً في مراتبه
وحاز عثمان فضلاً بالبني وقد ... أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار عليّ المرتضى فله ... بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا ... ضاقت عليه أمور في مذاهبه
عليهم صلوات الله ما لمعت ... في الليل أنوار برق في غياهبه

[وروي عن محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه] قال : رأيت بمكة نصرانياً يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة . فقلت : ما الذي رغبك عن دين آبائك ؟ فقال : بدلت خيراً منه . قلت : فكيف كان ذلك ؟ فحكى لي أنه ركب في البحر . قال : فلما توسطنا فيه انكسرت المركب بنا فتعلقت على لوح فما زالت الأمواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب . قال : فقلت الحمد لله على ذلك ، فها أنا آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي الله بالفرج ، فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن منها ، فلما كان في وسط الليل إذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى ، وتقول بلسان فصيح : لا إلّه إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبي المختار ، أبو بكر الصديق

صاحبه في الغار ، عمر الفاروق فاتح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، علي سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضيهم لعنة العزيز الجبار ، ومأواهم النار وبئس القرار ، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر ، فلما طلع الفجر قالت لا إلّه إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد رسول الله الهادي الرشيد ، أبو بكر الصديق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان الفضيل الشهيد ، علي بن أبي طالب ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد ، فما وصلت الدابة إلى البر إذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسي الهلكة فهربت منها ، فالتفتت إليّ وقالت : قف وإلا تهلك ، فوقفت . فقالت : ما دينك ؟ فقلت : النصرانية! فقالت : ويحك يا خاسر ارجع إلى الحنفية فإنك قد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً ! فقالت : وكيف الإسلام ؟ قالت : تشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلتها ! فقالت: كمل إسلامك لترضي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . قلت : ومن أتاكم بذلك ؟ قالت : قوم منا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوه يقول : « إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق : إلّهي قد وعدتني أن تشيد أركاني ؟ فيقول الجليل جل جلاله : قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين » ثم قالت لي الدابة : تريد المقام هنا أم الرجوع إلى أهلك ؟ قلت : الرجوع إلى أهلي ، فقالت : امكث مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكاني ونزلت الدابة البحر فما غابت عن عيني حتى مرّ عليّ مركب وفيها ركاب ، فأشرت إليهم فحملوني فإذا في المركب اثنا عشر رجلاً كلهم نصارى فأخبرتهم خبري وقصصت عليهم قصتي فأسلموا كلهم ، فعلمت أن لهؤلاء الأقوام سراً عند الملك العلام ، إذا ببركتهم حصل لي الإسلام ونلت أعلى مقام :

قوم لهم عند رب العرش منزلة ... وحرمة وبشارات وإكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا ... بوصفه فهمو للناس أعلام
ففي أبي بكر الصديق قد وردت ... آثار فضل لها في الذكر أحكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه ... به تكمل في الآفاق إسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له ... في الليل ورد وبالقرآن قوام
وللإمام علي المرتضى منح ... له احترام وإعزاز وإكرام
هم الصحابة للهادي بهم وضحت ... طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا

علـــيهم مـــن ســـلام الله أطيبـــه ما أفطر الناس يوم الشـك أو صـاموا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

المجلس الرابع والخمسون

في ذكر الصلاة والسلام على النبي ﷺ

الحمد الله الذي أنشق أهل صفوته مـن طيـب محبتـه نسـيماً ، ونـادمهم في الأسـحار بلذيـذ الأذكار فأصبح لهم نديماً ، وسقاهم من الكؤوس المصفاة في خلوة المناجـاة شـراباً صـرفاً قـديماً ، وتجلى عليها فهاموا وجداً به وحق لواجدهم أن يكون لهيامه عليماً ، وبصـرهم بهـداهم وآتـاهم تقواهم وهداهم صراطاً مستقيماً ، وأرسل إليهم رسولاً كريماً ، ونبياً مبجلاً عظيماً ، وأنزل عليه في كتابه العزيـز تفضـيلاً وتكريمـاً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] . يا له من نبي شـرف الله بـه زمـزم وحطيمـاً ، وخصه باجتبائه واصطفائه سماه اسمين من أسمائه رؤوفاً رحيمـاً ، فمـن تمسـك بشـريعته نـال فضلاً جسيماً ، وحاز في الجنة نضرة ونعيماً ، كم أطلق أسيراً وآثر مسكيناً عديماً ، وكـم جـبر كسيراً وأغنى فقيراً ورحم يتمياً ، توسل به آدم فألهم الصلاة عليه فعاد عزيزاً كريماً ، ودعـا بـه نوح فأضحى من الغرق سليماً ، واستغاث به الخليل فصارت النار عليه برداً وسلاماً ، لما أكثر عليه صلاة وتسليماً ، واستجار به إسماعيل فأغيث بالفداء وكان للنعم بعد الـردى مسـتديماً ، وصلى عليه موسى فأصحى مخاطباً وكليماً ، وبشر به عيسى فنال رفعه وتقديماً ، وسلمت عليه الأشجار والأحجار وصلت عليه الملائكة الأبرار فحصل لهم الفخار عند من لم يـزل عظيمـاً ، فيا معشر العصاة ما أغفلكم عن الصلاة عليه فإنها تكفر ذنباً عظيماً ، وتـورث عـزاً وتكريمـاً ، فأكثروا من الصلاة عليه وافعلوا ما ندبكم مولاكم إليه تلقوا جنة ونعيماً وتجنبوا عـذاباً وجحيمـاً . فقد قال في حقه من جمع بين خلقه وخلقه : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ : [الأحـزاب :٤٣] . وبشر من صلى عليه من أمتـه بالفضـل في جنتـه . فقـال تعـالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ : [الأحزاب :٤٤] فأكثروا من الصلاة عليه فإنها تجلو هموماً وتشفي سقيماً ، وقد أمـركم الله تعـالى بالصـلاة عليـه تنبيهـاً لكـم وتفهيمـاً ، وتـذكيراً لكـم وتعليمـاً ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ : [الأحزاب :٥٦] .

جل الذي بعث الرسول رحيما لـيردّ عنـا في المعـاد جحيمـا وبـه نرجـي جنـة ونعيمـا
أضحى على الباري الكـريم كريمـاً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما
ما ضل عن وحي الإلّـه وما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى الصادق الثقة الأمين بما روى
قـد نـال مـن رب السـماء علومـاً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما
وافى له الـروح الأمـين مبشـرا ناد به يا خير من وطىء الثرى أجب المهيمن يا محمد كي ترى
ملكـاً كـبيراً في السـماء عظيمـاً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما
فأجابـه المختـار حـين دعـا بـه رب السموات العلى لخطابـه ركب البراق وقد أتى لجنابـه
أمسـى لـه الـروح الأمـين نـديماً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما
فمتى أرى الحادي يبشر باللقـا ويضمنا بأن المحصب والنقـا وأرى ضريح المصطفى قد أشرقا
مـولى رحيمـاً لـن يـزال حليمـاً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما
وأقـول للـزوار فـزتم بـالمنى يهناكمو طيب المسرة والهنـا فاستبشروا من بعد فقر بالغنى
فـالله زادكمـو بـه تكريمـاً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما
ثم الرضـا عـن آلـه الكرمـاء وكذاك عن أصحابه الخلفاء فهواهمو ديني وعقد ولائي
قـوم تـراهم في المعـاد نجومـاً صـلوا عليـه وسـلموا تسـليما

[وروى أبو طلحة ﷺ] قال : « دخلت على رسول الله ﷺ ووجهه يبرق فقلت : يا رسول الله رأيتك كاليوم أطيب نفساً ولا أظهر منك بشـراً ؟ فقـال رسـول الله ﷺ : ومـا لي لا تطيـب نفسي وقد جاءني جبريل عليه السلام الساعة فقال : يا رسول الله من صلى عليك صـلاة مـن أمتـك كتبت لها بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات وقال له الملك مثل مـا قال » . وفي لفظ آخر : « وردّ الله تعالى عليه مثل قوله » .

[وروي عن عائشة رضي الله عنها] قالت : « كنت أخيط شيئاً في وقت السحر فسقطت الإبـرة مني وانطفأ المصباح فدخل رسول الله ﷺ فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الإبرة فقلت : ما أضوأ وجهك يا رسول الله صلى الله عليك ؟ فقال : يا عائشة الويل لمن لم يرني يوم القيامة ، قالت : فقلت : ومن الذي لم يرك يوم القيامة ؟ قال : البخيل ، فقلت : ومن هو البخيـل يـا رسول الله ؟ قال : الذي إذا ذكرت عنده لم يصلّ عليّ » .

[وروى أبو هريرة ﷺ] عن النبي ﷺ أنه قال : « صلوا عليّ فإن صلاتكم علـيّ زكـاة لكـم ،

وسلوا الله تعالى لي الوسيلة . قالوا : يا رسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة في الجنة لا يناالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو » :

أحمد المصطفى سراج منير خاتم الرسل صادق الأنباء خص بالحوض والشفاعة في الحشر
لكل الورى ورفع اللواء والمقام المحمود والسبق للنا س دخولاً في الجنة الفيحاء
ثم يعطى وسيلة وهي أعلى درجات الجنان دار البقاء
فعليه الصلاة في كل وقت وزمان يبقى على الآناء

[وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليّ عشية الخميس نزلت الملائكة وبأيديهم قراطيس من فضة وأقلام من ذهب يكتبون عشية الخميس ليلة الجمعة ويوم الجمعة عشية الجمعة صلاة من يصلي عليّ فأكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة » . وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلىّ عليّ صلاة واحدة ليلة الجمعة أو يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ويبعث إليّ ملكاً يدخل عليّ في قبري ويخبرني باسمه ونسبه وعشيرته فأكتبه عندي في صحيفة بيضاء » . وقال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سياحين يبلغون إليّ صلاة من يصلي عليّ في مشارق الأرض ومغاربها فمن صلى عليّ كل يوم جمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » . وقال رسول الله ﷺ : « تباهوا بالصلاة عليّ فإنها تبلغني » . وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة ، وما جلس قوم مجلساً ولم يصلوا فيه عليّ إلا كانت عليهم حجة يوم القيامة إن شاء عفا عنهم وإن شاء آخذَهم بها » . وروي أن النبي ﷺ قال : « ثلاثة تحت ظل عرش الرحمن عز وجل يوم لا ظل إلا ظله ، قيل : من هم يا رسول الله قال : من فرّج عن مكروب من أمتي ، ومن أحيا سنتي ، ومن أكثر الصلاة عليّ » .

[وعن أبي هريرة ﷺ] عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » :

صلوا على هذا النبي الكريم تحظوا من الله بأجر عظيم وتظفروا بالفوز من ربكم
وجنة فيها نعيم مقيم طوبى لعبد مخلص في الورى صلى على ذلك الجناب الكريم
وقد غدا من فرط أشواقه بحبه في كل واد يهيم

[وروي] أنه ﷺ قال : « من صلى عليّ تعظيماً لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكاً

أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان في الأرض السابعة وعنقه تحت العرش فيقول الله تعالى : صلىّ على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة » . وروي أنه ﷺ قال : « إن الله عز وجل وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال لا إلّه إلا الله رجح ميزانه ، ومن صلى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة » . وروي أنه ﷺ قال : « إن الله تعالى وكل بقبري ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلا قال الملكان مجيبان له : غفر الله لك . فيقول حملة العرش والملائكة جواباً للملكين : آمين ، ولا أذكر عند أحد فلا يصلي عليّ إلا قال الملكان له : لا غفر الله لك ، ويقول حملة العرش وسائر الملائكة جواباً للملكين آمين » . وروي أنه ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير الصلاة عليّ إلا تفرقوا على أنتن من جيفة الحمار وما من مجلس يصلي عليّ فيه إلا فاحت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة : هذه رائحة مجلس صلي فيه على محمد ﷺ » وإن للصلاة عليه رائحة تفوق روائح جميع الطيب تعرفها الملائكة فتميزها من سائر الطيب :

إن الصلاة على المختار إن ذكرت ... في مجلس فاح منه الطيب إذا نفحا
فأسكر القوم رياه فتعرفه الـ ... ـأملاك لما تبدى النور واضحا
والقوم في حضرة بالذكر طيبة ... هذا ومحبوبهم في القلب ما برحا
محمد أحمد المختار من مضر ... أزكى الخلائق جمعاً أفصح الفصحا
صلى عليه إلّه العرش ثم على ... أهليه والصحب نعم السادة النصحا

[وروي أن ﷺ] قال : « لن يلج النار من صلى عليّ » . وروي أنه ﷺ قال : « من صلى عليّ مئة مرة تزحزحت النار عنه مئة عام » . وروي أنه ﷺ قال : « أكثركم عليّ صلاة أكثركم في الجنة أزواجاً » وروى عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى يا محمد من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » :

سلام على نور هدينا بنوره ... وعزّ سموّاً قدره عن منالـه سلام على من لم أذق صد بعده
ولم أرتقب في النوم طيف خياله ... سلام على من عمنا لطف فضله ولم نخل من إكماله وجماله
عليه سلام الله ما ذر شارق ... وما لاح برق مخبراً عن وصاله

[وروي أنه ﷺ] قال : « إن العبد ليسأل الحاجة ولا يصلي عليّ عقيب سؤاله فترفع الحاجة على سحابة فإذا صلى عليّ قضيت حاجته واستجيت دعوته وفتحت له أبواب

السماء » . وروي أنه ﷺ قال : « من صلى عليّ صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه عمل ثلاثة أيام » . وروي « أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات المؤمن وسيئاته فتنزل صحائف من عند الله عز وجل بيض على حسناته فترجح حسناته على سيئاته فيقول الله عز وجل هذه صلاتك على محمد ثقلت بها ميزانك وجعلتها لك ذخيرة » :

لأحمد فضل لا يحدّ ولا يحصى ... وليس له في الدهر حد فيستقصى
فمن كان مثلي مذنباً ومقصراً ... فجاه رسول اله قد جبر النقصا
فيا فوز من صلى عليه من الورى ... فذاك بتثقيل لميزانه خصا
هو القرشي الهاشمي الذي سرى ... من المسجد الأسنى إلى المسجد الأقصى
نبيّ دنا من قاب قوسين مذ دنا ... فسبحان من وصى إليه بما وصى
عليه صلاة لا انتهاء لوصفها ... من الله ربي لا تعد ولا تحصى

[وروى] جابر بن عبد الله ﷺ . قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح وأمسى وقال : اللهم يا رب محمد وآل محمد صلّ على محمد وآل محمد واجز محمداً ﷺ ما هو أهله أتعب كاتبيه ألف صباح ولم يبق لنبيه محمد ﷺ حق إلا أدّاه إياه وغفر له ولوالديه وحشر مع محمد وآل محمد » . وعن وهب بن منبه ﷺ أنه قال : لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتح عينيه فنظر إلى باب الجنة فرأى عليه مكتوباً لا إلّه إلا الله محمد رسول الله ، فقال : أي رب هل تخلق خلقاً هو أعز عليك مني ؟ فقال : نعم نبياً من ذريتك ، فلما خلق الله تعالى له حوّاء وركب فيه الشهوة قال : يا رب زوجني بها ؟ قال الله تعالى : أدّ مهرها ، قال رب : وما مهرها ؟ قال : أن تصلي على صاحب هذا الاسم مئة مرة ، قال : إن فعلت تزوجنيها ، قال : نعم فصلى آدم على النبي ﷺ مئة مرة فكان ذلك مهرها فزوجه الله تعالى بها :

أنت الذي صلى عليك الله يا ... خير الورى في ذكره وكذا قرى
وأبوك آدم إذا رأى حوا وقد ... زينت بأنواع الحلى والجوهر
صلى عليك فكان ذلك مهرها ... والحور بين مهلل ومكبر
أنت الذي حقاً عليه سلمت ... وحش الفلا في كل بر مقفر
صلى عليك الله يا خير الورى ... ما ناح قمري بغصن أخضر

[وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فأناخ ناقته على باب المسجد ، ثم دخل فقعد بإزاء رسول الله ﷺ ، فلما قضى أربه وأراد أن يقوم قال

أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : يا رسول الله الناقة التي مع الأعرابي مسروقة فالتفت النبي ﷺ إليه ، ثم قال له : ما تقول ؟ فأطرق رأسه وجعل يضرب الأرض بسبابته فأنطق الله تعالى الناقة من وراء الباب . فقالت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق بشيراً ونذيراً ما سرقني هذا الرجل ، وإنما سرقني غيره وإن هذا ابتاعني بماله وإنه لبريء غير آثم . فقال النبي ﷺ للأعرابي : بالذي أنطقها ببراءتك ما قلت حين أطرقت برأسك وضربت الأرض بسبابتك ؟ فقال : يا رسول الله قلت : اللهم لست بربّ استحدثناك ولا معك شريك في ملكك أعانك على خلقنا ، أنت كما تقول وفوق ما نقول أسألك يا رب أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وتبرئني ببراءة مما أنا فيه . فقال النبي ﷺ : والذي بعثني بالحق لقد رأيت الملائكة ازدحموا على أفواه السكك يكتبون مقالتك ، فمن أصابه مثل ما أصابك فقال مثل مقالتك برأه الله تعالى مما نزل به » .

هذا النبي محمد خير الورى ... ونبيهم وبه تشرف آدم
وله البها و له الحياء بوجهه ... كل السنا من نوره يتقسم
هو في المدينة ثاوياً بضريحه ... حقاً ويسمع من عليه يسلم
وإذا توسل مستضام باسمه ... زال الذي من أجله يتوهم
يا فوز من صلى عليه فإنه ... في جنة المأوى غداً يتنعم
صلى عليه الله جل جلاله ... ما راح حاد باسمه يترنم

[وروي] أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة بمحابرهم ، فيقول الله تبارك وتعالى لجبريل : يا جبريل اقض حوائجهم فإنهم كانوا يصلون كثيراً على النبي ﷺ في الدنيا فخذ بأيديهم وأدخلهم الجنة . وقال بعض الصوفية : كان لي جار مسرف على نفسه ، فلما مات رأيته في المنام وهو في دار السلام . فقلت له : بم نلت هذه المنزلة ؟ قال : حضرت مجلس الذكر فسمعت المحدث يروي عن رسول الله ﷺ أنه من صلى عليه ورفع صوته بها وجبت له الجنة فرفع المحدث صوته بالصلاة على النبي ﷺ ورفعت صوتي معه وجميع القوم فغفر لنا في ذلك اليوم . وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « أتاني جبريل عليه السلام يوماً ، فقال لي : يا محمد قد حئتك ببشارة لم آت بها أحداً قبلك ولا بعدك وهي أن الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر له إن كان قائماً قبل أن يقعد وإن كان قاعداً قبل أن يقوم فعندها خرّ النبي ﷺ ساجداً لله تعالى شكراً على ذلك » .

ألا يا رسول الله يا خير مرسل ... عليك صلاة الله لا تتناهى

فيا فوز من صلى عليك من الورى صلاة يعم الكون منك سناها
عليك صلاة الله يا أشرف الورى محلاً ويا أعلى البرية جاها
عليك صلاة الله ما سار راكب إلى طيبة بالذكر طاب رباها
عليك صلاة الله ماهبت الصبا وفاح بعرف المسك طيب شذاها

[وروي] أن امرأة رأت ولدها بعد الموت يعذب فحزنت لذلك وبكت ، ثم رأته بعد ذلك وهو في النور والرحمة فسألته عن ذلك ؟ فقال : مرّ رجل بالمقبرة فصلى على النبي ﷺ وأهدى ثوابها للأموات فحصل نصيبي من ذلك المغفرة فغفر لي . وقال بعض العارفين : صليت ليلة ، فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبي ﷺ فغلبتني عيناي فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال لي : نسيتنا من الصلاة علينا . فقلت : يا رسول الله اشتغلت بالثناء على الله عز وجل . فقال : أما علمت أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه إلا بالصلاة عليّ ولا يجاب الدعاء إلا بالصلاة عليّ ولا تقضى الحاجات إلا بالصلاة عليّ ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ :

صلوا على من أتت حقاً بشائره الهاشمي الذي طابت عناصره
هو الرسول الذي عاشت رسالته في الخلق طراً وقد عمت مآثره
هو النبي الذي تأتي الملوك له على الرؤوس فتأتيهم مفاخره
هو الطبيب لداء الناس كلهم يشفي السقيم وللمكسور جابره
صلى عليه إلّه العرش ما طلعت شمس ومن ناح فوق الغصن طائره

[قال سفيان الثوري رضي الله عنه] : بينما أنا في الطواف إذا رأيت رجلاً لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً ، إلا وهو يصلي على النبي ﷺ فقلت : يا هذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ فهل عندك في هذا شيء ؟ فقال : من أنت عافاك الله ؟ فقلت : أنا سفيان الثوري ، فقال : لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال : خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام ، حتى إذا كان في بعض المنازل مرض والدي فقمت لأعالجه . فبينما أنا عند رأسه إذ مات واسودّ وجهه فقلت : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ : [لبقرة : ١٥٦] . مات والدي واسود وجهه فجذبت الإزار على وجهه فغلبتني عيناي فنمت ، فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه وجهاً ، ولا أنظف ثوباً ولا أطيب ريحاً ، يرفع قدماً ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الإزار عن وجهه ومرّ بيده على وجهه فعاد وجهه أبيض : ثم ولى

راجعاً فتعلقت بثوبه وقلت : من أنت يرحمك الله ، فقد منّ الله بك على والـدي في دار الغربـة . قال : أو ما تعرفني ؟ أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن . أما إن والدك كان مسرفاً علـى نفسـه ، ولكن كان يكثر الصلاة عليّ فلما نزل به ما نزل استغاث بي ، وأنا غياث من أكثر الصـلاة علـيّ ، فانتبهت فإذا وجهه أبيض .

يا من يجيب دعا المضطر في الظلـم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
شـــفع نبيـــك في ذلي ومســـكنتي ... واستر فإنـك ذو فضـل وذو كـرم
واغفـر ذنـوبي وسـامحني بهـا كرمـاً ... تفضلاً منك يـا ذا الفضـل والـنعم
إن لم تغـثني بعفـو منـك يـا أملـي ... واخجلتي واحيائي منـك واندمي
وقد وعدت بـأن نـدعو تجيـب لنـا ... وقد دعونـا فجـد بـالعفو والكـرم

[إخواني] أكثروا من الصلاة على هذا النبي الكريم ، فإن الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدي إلى الصراط المستقيم ، وتقي قائلها عذاب الجحيم ، ويحظى في الجنـة بـالنعيم المقـيم ، وقد قيل في بعض الروايات : إن للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات : إحداهن صـلاة الملك الغفار ، الثانية شفاعة النبي المختار ، الثالثة الاقتداء بالملائكـة الأبـرار ، الرابعـة مخالفـة المنافقين والكفار ، الخامسة محو الخطايا والأوزار ، السادسة قضاء الحوائج والأوطار ، السابعة تنوير الظواهر والأسرار ، الثامنة النجاة من النار ، التاسعة دخول دار القرار ، العاشرة سـلام العزيز الجبار :

يا رب صل على الهادي البشير ومن ... له الشفاعة في العاصي أخي النـدم
يا رب صل على المختار من مضـر ... أزكى الخلائق من عرب ومن عجـم
يا رب صل على خير الأنـام ومـن ... ساد القبائـل في الأنسـاب والشـيم
يـا رب صـل علـى مـولى شـفاعته ... لـك هـول مـن الأهـوال مقـتحم
صـلى عليـه الـذي أعطـاه منزلـة ... عليـاء إذ كـان حقـاً أفضـل الأمـم
صلى عليه الذي أسرى بـه فرقـى ... لقـاب قوسـين لم يـدرك ولم يـرم
صـلى عليـه الـذي أعـلاه مرتبـة ... ثم اصـطفاه حبيبـاً بـارئ النسـم
صـلى عليـه صـلاة لا انقطـاع لهـا ... مولاه ثم على صحب وذي رحـم

اللهم صل على سيدنا محمد الذي شرفته على سائر الأنام ، ورفعته إلى أشرف محـل ومقـام ، وجعلته هادياً إلى دين الإسلام ، ودليلاً إلى دار السلام ، اللهم فكما أمرتنا بالصلاة عليه فبلـغ

اللهم صلاتنا منا عليه هادياً إليه يا رب العالمين ، اللهم احشرنا في زمرته ، واجعلنا ممن فاز بمتابعته ، وائتمر بشريعته واهتدى بسنته ، واقتدى بصحابته . اللهم أوردنا حوضه ، وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته ، واجتمع بيننا وبينه ، في مستقرّ الرحمة والرضوان ، ودار السلام برحمتك يا ذا الجلال والإكرام .

المجلس الخامس والخمسون

في فضل قول : لا إله إلا الله ، جعلنا الله وإياكم من أهلها وتقبل منّا ومنكم قولها

الحمد الله الذي لا يعلم ما هو إلا هو ، ولا يغفر الذنوب ويستر العيوب إلا هو ، ولا يكشف الكروب ويجبر القلوب إلا هو ، جل عن النظائر والأشباه ، وتقدّس عن الالتباس والاشتباه ، وهو الله لا إلّه إلا هو ، فهو المحمود الذي لا يحمد على المكاره إلا هو ، المشكور الذي لا يشكر على السراء والضراء إلا هو ، الكريم المقصود الذي لا يعرف بالكرم والجود إلا هو ، الرحيم الودود الذي لا يقصد بالركوع والسجود إلا هو ، القديم الذات البديع الصفات الذي لا يدعى لكشف الكربات إلا هو ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ : [الأنعام : ١٧] . إليه أمركم وعليه رزقكم وهو حسبكم ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ : [الأنعام : ١٠٢] لانت لعظمته الجلامد ، وقامت على وحدانيته الشواهد ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ : [لبقرة : ١٦٣] . كيف ينكر وجوده أهل الطغيان والغي وهو الحي الذي لا إلّه إلا هو ، كيف تجحد وحدانيته ، أم كيف تنكر فردانيته ، وقد ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ : [آل عمران :١٨] . قدر بحكمته الأشياء ، وخلق بقدرته الظلام والضياء ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ : [آل عمران : ٦] . ساتر العيب وراحم الشيب ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ : [الأنعام : ٥٩] . كيف لا يجود بالمتاب لمن أناب وهو ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ :

[غافر :٣] . فاضرب أيها الموحد بسيف التنزيه رقاب أهل التشبيه ، واحذر بأن تفوه بمثل ما فاهوا ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ : [التوبة : ١٢٩] . الأولياء في حذر من مكره لا يغفلون عن خدمته ولا يفترون عن ذكره ، والكافرون عسر عليهم ذلك وشق ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ﴾ : [لمؤمنون : ١١٦] . فلا يغرنك يا هذا شيطانك الغرور ولا تركن إلى الجاحد الكفور ، ولا تتكاثر بدنياك وتتفاخر ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ : [القصص : ٨٨] .

الله ربي لا أريد سواه ... هل في الوجود حقيقة إلا هو
يا من له وجب الكمال بذاته ... فالكل غاية فوزهم لقياه
أنت الذي لما تعالى جدّه ... قصرت خطا الألباب دون سناه
أنت الذي امتلأ الوجود بحمده ... لما اغتدى ملآن من نعماه
سبحان من خرق الحجاب لعبده ... وهداه منهج قصده فرآه
سبحان من ملأ الوجود أدلة ... ليلوح ما أخفى بما أبداه
سبحان من ظهر الجميع بنوره ... فبه يرى الأشياء من صافاه
سبحان من أحيا قلوب عباده ... بلوائح من فيض نور هداه
فالعارفون مشاهدون لصنعه ... مستغرقون بذكرهم إياه
مولاي أنسك لم يدع لي وحشة ... إلا محا ظلماتها بسناه
مولاي أنت الواحد الفرد الذي ... ملأ الوجود صفاته وهداه
عجز الأنام عن امتداحك إنه ... تتصاغر الأفكار دون مداه
من كان يعرف أنك الحق الذي ... بهر العقول فحسبه وكفاه
وإذا أردت بأن تفوز وترتقي ... درج العلا وتنال منه رضاه
أدم الصلاة على محمد الذي ... لولاه ما فتح المكبر فاه
و له الوسيلة واللواء وكوثر ... يروي الورى وكذا يكون الجاه
صلى عليه الله ما سرت الصبا ... وتعطرت بمديحه الأفواه

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ : [آل عمران : ١٨-١٩] . قال سعيد بن

جبير : كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً فلما نزلت : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ : [آل عمران : ١٨] . الآية خرّت ساجدة ، وعن ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب ، وصنعه المتقن الغريب ، وأموره المحكمة ـ لنفسه عند خلقه أنه لا إلّه إلا هو . وعن غالب القطان قال : أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة ، فقام يتهجد من الليل فمرّ بهذه الآية : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، ثم قال : وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة ، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ : [ل عمران : ١٩] قالها مراراً . فقلت في نفسي : لقد سمع فيها شيئاً فصليت معه وودعته . ثم قلت له : سمعتك تردد هذه الآية ، فما بلغك فيها ؟ . قال : والله لا أحدثك إلى سنة ، فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت له : يا أبا محمد ، قد مضت السنة . فقال : حدثني أبو وائل عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : يجاء بصاحبها يوم القيامة ، فيقول الله تعالى : إن لعبدي هذا عندي عهداً ، وأنا أحق من وفى بالعهد ، أدخلوا عبدي الجنة ، وقيل : إن من قرأ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الآية . عند منامه خلق الله تعالى منها ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة :

ما في الوجود سواك ربّ يعبد ... كلا ولا مولى سواك فيقصد
يا من له عنت الوجوه بأسرها ... ذلاً وكل الكائنات توحد
أنت الإلّه الواحد الفرد الذي ... كل القلوب له تقر وتشهد
يا من تفرّد بالبهاء وبالسنا ... في عزّه و له البقاء السرمد
يا من له وجب الكمال بذاته ... فلذاك تشقي من تشاء وتسعد

[وقال ابن عباس رضي الله عنهما] في قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ : [غافر : ٣] ؟ يعني لمن يقول لا إلّه إلا الله ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ : [غافر : ٣] لمن يقول لا إلّه إلا الله ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ : [غافر : ٣] لمن لم يقل لا إلّه إلا الله . وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ : [مريم : ٨٧] قال ابن عباس : العهد شهادة أن لا إلّه إلا الله . وقال تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ : [الفتح : ٢٦] . قال عليّ ﷺ : كلمة التقوى قول لا إلّه إلا الله . وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ : [فاطر : ١٠] أي قول لا إلّه إلا الله . وقال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ : [الأنعام : ١٦٠] . أي من جاء بقول لا إلّه إلا الله .

وقال بعض أهل العلم : قول لا إلـه إلا الله حرز منيع وحصن حصين ، فمن قـال لا إلـه إلا الله تحصن من كل سوء لقوله ﷺ : « مجدوا ربكم يقول لا إلـه إلا الله فإن الله تبارك وتعـالى يقول هي حصني ، ومن دخل حصني أمن عذابي » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لـو يعلم المذنبون ما في قول : لا إلـه إلا الله لأكثروا من ذكرها فإن الليل والنهار أربـع وعشـرون ساعة ولا إلـه إلا الله أربعة وعشرون حرفاً كل حرف منها يكفـر ذنـوب سـاعة . وقيـل : إن العبد إذا قال لا إلـه إلا الله في ساعة من نهار أو ليل طاش ما في صحفيته من الذنوب والخطايـا حتى تسكن إلى أمثالها من الحسنات . وقال رسول الله ﷺ : « أفضل ما قلت أنا والنبيـون مـن قبلي لا إلـه إلا الله » ، وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله » .

[وعن أبي هريرة ﷺ] قال : قال رسول الله ﷺ : « لـيس علـى أهـل لا إلـه إلا الله وحشـة في قبورهم ولا في بعثهم ولا في نشورهم ، وكأني بهم وقد خرجوا من قبـورهم ينفضـون التـراب عن رؤوسهم ، وهم يقولون : لا إلـه إلا الله حتى يدخلوا الجنة ، فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » ، وسئل رسول الله ﷺ : « أيّ الأعمال أفضل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى » ، وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى لملائكته قربوا مني أهل لا إلـه إلا الله فإني أحبهم » .

[إخواني] إن أهل التوحيد في مقعد صدق عنـد مليـك مقتـدر سـبقت محبتـه لهـم قبـل خلقهـم وطاعتهم له قبل إيجادهم فصاروا أوليـاء بالموهبـة القديمـة ، لا جـرم جـاء مـدحهم في الآيـات الكريمة المبينة المكنونة ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ : [المائدة : ٤٥] .

نـالوا مرادهمـو بحـب حبيبـهم ... وتمتعـوا بـدنوّه ووصـاله
وعلـيهم ظهـر الجمـال لأنهـم ... بقلـوبهم نظـروا لحسـن جمالـه
وبـه قـد اشـتغلوا ويـا طـوبى لمـن ... قـد أصـبح المحبـوب مـن أشـغاله

[وقال رسول الله ﷺ] : « لقنوا موتاكم لا إلـه إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً » وقـال ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إلـه إلا الله دخل الجنة » ، وعن الصنابحي رحمه الله قال : دخلت علـى عبادة بن الصامت رحمه الله وهو في النزع فبكيت ، فقال : مهلاً لم تبكي فوالله لئن استشـهدت لأشهدنّ لك ولئن استشفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لأنفعنك ، ثم قـال : والله مـا مـن حديث سمعتـه مـن رسـول الله ﷺ لكـم فيـه خـير إلا حـدّثتكموه إلا حـديثاً واحـداً وسـوف أحدّثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شـهد أن لا إلـه إلا

الله وأني رسول الله حرم الله عليه النار » . وعن أبي الأسود الدؤلي أن أبا ذر ﷺ حدثه أنه قال : « أتيت النبي ﷺ وهو نائم وعليه ثوب أبيض ثم أتيته ثانياً فإذا هو نائم ، ثم أتيته ثالثاً وقد استيقظ فجلست إليه ، فقال : ما من عبد قال لا إلّه إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ، قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق ، قال : وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ، ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذرّ ، فخرج أبو ذر وهو يقول على رغم أنف أبي ذر » . وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من دخل السوق وقال لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ دائم لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير ورفع بها صوته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » رواه الترمذي رحمه الله فلما سمع قتيبة بن مسلم بهذا الحديث كان يركب كل يوم في موكبه وهو يومئذٍ أمير ويأتي السوق فيقول هذا الحديث ثم يرجع :

تهتك ولا تخش في الحب عاراً ... وإياك وإياك تبدي استتارا
ونزه حبيبك عن مشبه ... وعطر بذكراه ربعاً ودارا
وبح باسمه ثم صرح وقل ... حبيبي يا قوم يهدي الحيارى
وجهراً فوحده بين الملا ... ليعطيك منه أجوراً غزارا

[إخواني] انظروا إلى فعل هؤلاء الموحدين كيف لا يمنعهم الحياء عن إشهار ذكر رب العالمين ولا يستنكفون عن تنزيه الحق بين سائر المخلوقين ، وقد قال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ : [البقرة : ١٥٢] .

[وعن أبي هريرة ﷺ] أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ؛ وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلاّ رجل عمل أكثر منه » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وعن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : « من قال : لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » رواه البخاري ومسلم رحمهما الله . وقال رسول الله ﷺ : « لقنوا موتاكم لا إلّه إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم العليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع » فانظروا

رحمكم الله إلى كلمة الإخلاص ما أعظم شأنها وما أرفع عند الله مكانها فأكثروا من ذكرها لتنالوا جزيل أجرها ، فبها يحصل الثواب الكامل والأجر الوافر وبقولها يتميز المؤمن من الكافر وما من عبد يسمع المؤذن فيقول : مثل ما يقول فإذا قال : لا إلّه إلا الله قال لا إلّه إلا الله ومسح وجهه بيديه تبركاً بها ومر بهما على لحيته إلا كتب الله تعالى له بكل شعرة أصابتها يده حسنة وحط عنها بها السيئة » . وقال بعض الصحابة ﷺ : من قال لا إلّه إلا الله ومد بها صوته تعظيماً لها غفر الله له أربعة آلاف ذنب ، قيل : فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب ، قال : يغفر من ذنوب أهله وجيرانه . وقيل : يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان فيخرج له تسعة له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مدّ البصر فيه خطاياه وذنوبه فتوضع في الميزان ثم يخرج قرطاس مثل الأنملة فيه شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فتوضع في الكفة الأخرى فترجح على خطاياه وذنوبه ويسامحه الله تعالى ويأمر به إلى الجنة كل ذلك بفضل قوله لا إلّه إلا الله ، وفضل لا إلّه إلا الله كثير لا يحصى ، وعظيم لا يستقصى ، وينشد لمؤلفه :

الكل في بحر حبه تاهوا ... وقد تفانوا في سر معناه
وصححوا العقد مخلصين له ... بقولهم لا إلّه إلا هو
يا معشر الذاكرين كلكم ... قولوا معي لا إلّه إلا هو
وراقبوا من يعمكم كرماً ... بفضله لا إلّه إلا هو
فالكون قد فاح نشره عبقاً ... سبحان من لا إلّه إلا هو
والعرش تسبيحه له أبداً ... بذكره لا إلّه إلا هو
وكل ما في السماء من ملك ... تسبيحه لا إلّه إلا هو
وكل ما الجبال من عظم ... تسبيحه لا إلّه إلا هو
وكل ما في الرياض من شجر ... تسبيحه لا إلّه إلا هو
وكل ما في البحار من سمك ... تسبيحه لا إلّه إلا هو
وكل ما في الوجود من بشر ... تسبيحه لا إلّه إلا هو
وكل ما في الزمان من عجب ... أعجبه لا إلّه إلا هو
وكل شيء تراه من حسن ... أحسنه لا إلّه إلا هو
وكل شيء يلوح من ملح ... زينته لا إلّه إلا هو
وكل أهل العلوم قد علموا ... بأنه لا إلّه إلا هو

وكل أهل العقول قد فهموا بأنه لا إلّه إلا هو
والإنس والجن كلهم شهدوا بأنه لا إلّه إلا هو
والرعد والبرق إذ يسبحه فقوله لا إلّه إلا هو
وكل من ضل عن طريق هدى دليله لا إلّه إلا هو
وكل من يشتكي أذى سقم شفاؤه لا إلّه إلا هو
ومن أتاه بالذل مفتقراً غناؤه لا إلّه إلا هو
ومن أتى بائساً ومنكسراً فجبره لا إلّه إلا هو
يا غارقاً في بحر غفلته انهض وقل لا إلّه إلا هو
تعصيه جهراً وحلمه كرماً يستره لا إلّه إلا هو
يا قوم لا تغفلوا بجهلكم عن ذكره لا إلّه إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك سبحانه لا إلّه إلا هو
تنسوه في الليل والنهار ولا ينساكمو لا إلّه إلا هو
هو الإلّه العظيم قدرته سبحانه لا إلّه إلا هو
يا فوز من مات وهو معتقد يشهد أن لا إلّه إلا هو
سبحانه ما أعمّ رحمته لمذنب تاب من خطاياه
وها أنا مذنب عصيت وقد كان الذي كان حسبي الله
قد ضاع عمري وليس لي عمل في يوم حشر يرضى به الله
قد أتاني المشيب ينذرني بقرب موتي وما سألقاه
من كان مثلي في المذنبين أسا يبكي على ذنبه وينعاه
من كان مثلي قد شاب وهو على قبيح ما لا يحبه الله
من كان مثلي يأتي الذنوب ولا يخاف مما جنى ويخشاه
يأتي إلى الله وهو معتذر عساه يمحو له خطاياه
يا من عصى الله وهو ينظره في الذنب إذ لا يخاف عقباه
إن كنت مثلي مقصراً وجلا من قبح ذنب في الحشر تلقاه
فلذ بجاه الشفيع أفضل من يشفع في الحشر عند مولاه
محمد المصطفى الرسول ومن شرفه الله ثم نباه

صـــلى عليـــه الإلـــه خالقـــه ما ســـار ســـار وطـــاب مســـراه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم .

المجلس السادس والخمسون

في سعة رحمة الله تعالى ، غمرنا الله وإياكم والمسلمين برحمته ، وعاملنا بلطفه ورأفته

الحمد لله الرحيم الذي يرحم من عباده الرحما ، الكريم الذي يسبل على المعاصي ذيل حلمه جوداً وكرماً ، الحليم الذي يرى المذنب ويستره إذا أبدى على ذلته حسرة وتندماً ، العليم الذي يعلم ما في الضمائر ويطلع على السرائر ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، العظيم الذي لا يتعاظمه ذنب إلا غفره ولا يرى عيباً إلا ستره فضلاً منه ونعماً ، سبقت رحمته غضبه ، وقد قال تعالى لينقذ المؤمنين من العصيان والغيّ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] . فغفر زللاً ومأثماً ، من لجأ إلى حمى جنابه ، ومن تاب إليه نجاه ومن توكل عليه كفاه هماً وغماً وألماً ؛ فيا معشر التائبين أبشروا بالصيانة والعصمة واشكروه على هذه النعمة فقد كتب ربكم على نفسه الرحمة وأجرى لكم بالسعادة قلماً ، فالعارفون قد نشر لهم بنيل المقصود في الوجود علماً ، والمحبون قد أباحهم في الجنة النظر إليه وسقاهم بكؤوس أنسه فأضحوا لحضرة قدسه ندماً ، والخائفون قد لزموا له ذلاً وخضوعاً وأبدوا على ما أسلفوا بكاء وخشوعاً فأخرج لهم توقيع ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر : ٥٣] . فألبسهم من الأمان بالغفران تاجاً معلماً فيا من أيامه في الغفلة ضائعة ، وصحائفه لزلاته جامعة ، أقبل على مولاك بنية خالصة ونفس طائعة فقد قال تعالى لنبيه صاحب الشفاعة الشائعة : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٧] . فكم غفر ذنباً ، وكم جبر قلباً ، وكم قبل متندماً ؟ :

قل للذي ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متندما

لا تيأسنّ من الجميل فعندنا ... فضل بنيل التائبين تكرّما
يا معشر العاصين جودي واسع ... توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تختشوا من قبح ذنب سالف ... إني أحب بأن أجود وأرحما
ها قد أبحتكمو جنابي فادخلوا ... بالأمن فهو لمن أتى بابي حمى
يا أيها العبد المسيء إلى متى ... تفنى زمانك في عسى ولربما
بادر إلى مولاك يا من عمره ... قد ضاع في عصيانه وتصرما
واسأله غفواً ثم لذ متوسلاً ... بمحمد جالي الضلالة والعمى
خير الأنام الهاشمي المجتبى ... والمرتضى وهو الكريم المنتمى
أزكى البرية عنصراً وأجلّ من ... قد خص بالتقريب من رب السما
صلى عليه الله ما سرت الصبا ... وشدا الهزاز على الربا وترنما
وعلى الصحابة والقرابة بعده ... ما سبح الداعي الإله وعظما

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ : [الزمر : ٥٣] . خاطب الله سبحانه وتعالى عباده المسرفين على أنفسهم بالمخالفة وبما اكتسبوا من الذنوب والعصيان ، وبما اقترفوا من الفسق والطغيان ، فظنوا أنهم لا يغفر لهم وقنطوا من رحمة الله عزّ وجلّ ، فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ ﴾ : [الزمر : ٥٣] . يعني لا تيأسوا من عفو الله وكرمه ومغفرته ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ لمن أناب وتاب نم ذنبه ورجع عن ظلمه ، واستغفر من قبح فعله ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الغفور لمن تاب وندم على ما فعل من الذنوب ، الرحيم لمن رجع عن الأفعال المذمومة إلى الأفعال المحمودة . وروى عقيل بن أحمد بإسناده عن ابن سيرين قال : قال علي ﷺ : ما في القرآن آية أوسع من قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ ﴾ ، وروى عبد الله بن حامد بإسناده عن أسماء بنت يزيد قالت : « سمعت رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ ولا يبالي » ، وفي مصحف عبد الله : { } وروى الأعمش عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود قال : دخل عبد الله بن مسعود إلى المسجد فإذا واعظ يعظ الناس وهو يذكر النار والأغلال فجاء حتى قام على رأسه ، فقال : يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ ﴾ الآية ، وروى ابن

فتحويه بإسناده عن يزيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة فيشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله تعالى ، فلما مات رؤي في المنام وهو بين يدي الله تعالى ، وقد قال : يا رب مالي عندك قال : النار ، قال : يا رب فأين عبادتي واجتهادي ؟ فقال له : إن كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا ، وأنا اليوم أقنطك من رحمتي :

لا تقنطن فإن الله منان ... وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية ... فعند ربك إفضال وإحسان

يا هذا لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ : [آل عمران : ١٣٥] . ثم قال سبحانه وتعالى لما رأى عفوه وسيعاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ . وروى عبد الله بن حامد محمد الأصفهاني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « بعث رسول الله ﷺ إلى وحشيّ يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يقول : يا محمد كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم أنه من قتل نفساً أو أشرك أو زنى يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً وإني قد فعلت ذلك كله فهل تجد لي رخصة ؟ فأنزل الله : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] الآية فبعث بها إلى وحشيّ وأصحابه ، فقال وحشيّ : هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ : [النساء : ٤٨] فبعث بها إلى وحشيّ ، فقال : أراني بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا فهل غير ذلك ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] . فبعث بها إلى وحشيّ وأصحابه ، فقال وحشيّ : نعم هذه فجاء فأسلم هو وأصحابه ، فقال المسلمون : يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل للمسلمين عامة » :

إن كان ذنبك قد خيفت عواقبه ... فما سجدت لطاغوت ولا وثن
أو كنت ذا سيئات جلّ موقعها ... فإن ربك ذو فضل وذو منن
إن لم يكن عفوه للمذنبين غدا ... فعفوه ليت شعري بعد ذاك لمن

[**إخواني**] لو أراد الله تعالى عقوبة المؤمن في جهنم وتخليده لما ألهمه معرفته وتوحيده وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ : [الليل : ١٦ ـ ١٥] .

يا من أسرف فيما مضى ثم اعترف ... كن محسناً فيما بقي تعط الشرف

وابشـــر بقـــول الله في تنزيلـــه إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

[وقال قتادة] : ذكر لنا أن الناس أصابوا ذنوباً عظاماً في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أشـفقوا وخـافوا أن لا يتـاب عليـهم فـدعاهم الله سـبحانه وتعـالى بهـذه الآيـة ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ : الآية . وعـن أبي هريـرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » ، رواه ابن ماجه رحمه الله ، وروى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تبارك وتعالى : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم » . وعن أبي موسى الأشعري ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ، رواه مسلم رحمه الله ، وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » رواه مسلم رحمه الله . وعن أنس بن مالك ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا بْن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا بْن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » :

واخجلة العبد من إحسان سيده واحسرة القلب من ألطاف معناه
وكم له من أياد غير واحدة علي لطفاً لعلمي أنه الله
وكم عكفت على العصيان مستتراً مما سواه وما في الكون إلا هو
يولي الجميل ويبدي الفضل مبتدئاً لا كان في الناس عبد ليس يرعاه
يا نفس كم يخفيّ اللطف عاملني وقد رآني على ما ليس يرضاه
يا نفس كم زلت بها قدمي وما أقال عثاري ثم إلا هو

[وروى أبو موسى الأشعري ﷺ] عن النبي ﷺ لأنه قال : « أمتي أمة مرحومة عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب ، فقيل هذا فداؤك من النار » ، وقال ﷺ : « يتجلى الله تبارك وتعالى لنا يوم القيامة ضاحكاً يقول : أبشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس أحد منكم إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » ، وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس ، ثم وضعها على

العرش ، ثم نادى : يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي ، أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم من قبل أن تستغفروني ، من لقيني منكم وهو يشهد أن لا إلّـه إلا الله وأن محمداً عبدي ورسوله أدخلته الجنة » .

[روي عن النبي ﷺ] أنه قال : « إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من تحت العرش : يا أمة محمد ! أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم ، وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي » .

[وعن الحسن ﷺ] قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله تعالى مئة رحمة أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم ، وإن الله تعالى قابض تلك الرحمة إلى يوم القيامة فيضيفها إلى التسعة والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه وأهل طاعته » .

[وروي عن عمر ﷺ] : « أنه دخل على النبي ﷺ فوجده يبكي . فقال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : جاءني جبريل عليه السلام ، وقال لي : إن الله تعالى يستحي أن يعذب أحداً قد شاب في الإسلام ، فكيف لا يستحي من شاب في الإسلام أن يعصي الله تعالى » . وحدثنا هارون بن محمد عن أحمد بن سهل ﷺ قال : رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت: يا يحيى ما فعل الله بك ؟ قال : دعاني . فقال لي : يا شيخ السوء فعلت وفعلت ، فقلت : ما هكذا حدثت عنك ، قال : فبم حدثت عني ؟ قلت : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عنك يا رب أنك قلت : « إني لأستحي أن أعذب شيبة شابت في الإسلام ، وأنا شيخ كبير . فقال الله تبارك وتعالى : صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبي وصدق جبريل وصدقت أنا ثم أمر بي ذات اليمين إلى الجنة » :

أستغفر الله مما كان من زللي ... ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري
يا رب هب ذنوبي يا كريم فقد ... أمسكت حبل الرجا يا خير غفار
إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا خالقي أولى بذا كرما ... قد شبت في الذنبا فأعتقني من النار
وقد روى عنك خير الخلق من مضر ... المصطفى المجتبى من خير أطهار
بأنك الله رب العرش قلت لنا ... وقولك الحق في نقل وأخبار
أنا الذي من أتاني ليس يشرك بي ... أغفر له ما جنى من قبح أوزاري
وإنني شبت في الإسلام يا أملي ... فاغفر ذنوبي واسبل حسن أستار

وخرّج مسلم من حديث سلمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض حتى إن الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، فإذا كان يوم القيامة ردّ الله تعالى هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين فأكملها إلى مائة رحمة فيرحم بها عباده يوم القيامة » .

[**إخواني**] لا رحيم أرحم من الله ، ولا كريم أكرم من الله فاشكروه على هذه النعمة :

جلّ رب أمضى على الخلق حكمه ... وله في قضائه كل حكمه
قسم السعد والشقاء فطوبى ... للذي كانت السعادة قسمه
كم له رحمة على الخلق عمت ... كم له في المعاد أشمل رحمه
عفوه واسع لمن قد أتاه ... بمتاب وعنه كفر إثمه
كل من جاء تائبا قبل التو ... بة منه وكان أهلاً لنقمه
عظموا شأنه فقد فاز عبد ... عن صفات الأنام قدس اسمه
وارحموا ترحموا فطوبى لعبد ... أسكن الله قلبه منه رحمه

وقال ﷺ في آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط : « إن الله تبارك وتعالى يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقول ربنا : لم نر فيها أحداً ممن أمرتنا ، فيقول الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ : [الأعراف : ١٥٦] . فكان أبو سعيد ﷺ يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ : [النساء : ٤٠] . فيقول الله تبارك وتعالى : شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء فلم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يفعلوا خيراً قط إلا التوحيد قد عادوا فحماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم ، فيعرفهم أهل الجنة ، فيقولون : هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم ، فيقولون : ربنا قد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول الله تباك وتعالى : ولكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً » وراه البخاري ومسلم رحمهما الله .

رضاك خير من الدنيا وما فيها يا منية القلب قاصيها ودانيها
وما ذكرتك إلا همت من طرب كأنّ ذكرك ألحان أغانيها
وحق حبك ما قصدي الديار ولا الـ أموال من عرض الدنيا فأفنيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي أشهى إليّ من الدنيا وما فيها
وليس للنفس آمال تؤملها سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

وفي الخبر : « إن الله تبارك وتعالى يشفع آدم يوم القيامة من جميع ذريته في ألف ألف وعشرة آلاف ألف » .

[وروى] جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . قال جابر : فمن لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة ؟ يعني لا يحتاج إلى الشفاعة .

يا من شفاعته تنجي العصاة غداً من العذاب الأليم الراتع الشرر
أنت النبي الشفيع المستضاء به يوم القيامة يوم الروع والحذر
فاشفع لنا عند رب العرش خالقنا يا سيد الخلق من أنثى ومن ذكر

[وفي الخبر] : « أن أعرابياً قال : يا رسول الله من يلي حساب الخلق ؟ فقال : الله تبارك وتعالى . قال هو بنفسه ؟ قال : نعم فتبسم الأعرابي . فقال رسول الله ﷺ : مم ضحكت يا أعرابي ؟ فقال : إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح ، فقال رسول الله ﷺ : صدق الأعرابي ألا لا كريم أكرم من الله هو أكرم الأكرمين » ثم قال الأعرابي :

إن الكريم إذا تعين حقه عند امرىء أعفاه من تكرما
ويسامح الجاني ويغفر ذنبه ويكون حقاً قد أساء وأجرما

وفي الخبر المشهور : « إن الله تبارك وتعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي تغلب غضبي » ، ويروى : « إنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تبارك وتعالى كتاباً من تحت العرش في مكتوب : إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثل أهل الجنة » :

ذنوبي كثير ما أطيق احتمالها وعفوك عن ذنبي أجل وأكبر
وقد وسعتني رحمة منك ههنا وإني لها يوم القيامة أفقر

[وروي] أن أعرابياً سمع ابن عباس يقرأ : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ : [آل عمران : ١٠٣] . فقال الأعرابي : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها ،

فقال ابن عباس رضي الله عنهما : خذوها من غير فقيه . وقيل : إن الله تعالى إذا أراد أن يستر عبده يوم القيامة ولا يفضحه على رؤوس الأشهاد فيعطيه كتابه بيمينه وهو مشحون بالسيئات وذلك العبد خائف مما في الكتاب لعلمه أن ذنوبه كثيرة فيقرأ في الوجه الذي فيه السيئات سراً ويقول في نفسه : سبحان الله ليس لي حسنة واحدة . وتقول الخلائق سبحان الله ليس في كتاب هذا العبد سيئة واحدة ، فإذا فرغ من قراءته سراً يقول الله تبارك وتعالى : عبدي هذه حسناتك في ظهر كتابك أظهرتها لخلقي وسترت عنهم سيئاتك في الدنيا والآخرة يا ملائكتي امضوا به إلى الجنة بعفوي ورحمتي :

يا من له ستر عليّ جميل ... هل لي إليك إذا اعتذرت قبول
أبديتني ورحمتني وسترتني ... كرماً فأنت لمن رجاك كفيل
وعصيت ثم رأيت عفوك واسعاً ... وعليّ سترك دائماً مسدول
فلك المحامد والمحاسن والثنا ... يا من هو المقصود والمسؤول

[وعن أنس بن مالك ﷺ] : « إن رسول الله ﷺ سأل ربه في ذنوب أمته فقال : يا رب اجعل حسابهم إليّ لئلا يطلع على مساويهم غيري ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه هم أمتك وأنا أرحم بهم منك فلا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا ينظر في مساويهم أحد غيري » :

يا من له علم الغيوب ووصفه ... ستر العيوب وكل ذاك سماح أخفيت ذنب العبد عن كل الورى
كرماً فليس عليه ثم جناح ... فلك التفضل والتكرم والرضا أنت الكريم الواهب الفتاح

[وعن معاوية بن قرة] قال : قال ابن مسعود ﷺ : أربع آيات في سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها ، قوله عزّ وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ : [النساء : ٤٨] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ٦٤] وقوله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ : [النساء : ٣١] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ : [النساء : ١١٠] .

[وقال أبو غالب] : كنت أختلف إلى أبي أمامة بالشام فدخلت على مريض من جيرانه ، وهو يعاتبه ويقول له : يا ظالماً نفسه ألم آمرك ألم أنهك . فقال الفتى : يا عماه لو أن الله تعالى دفعني إلى والدتي وجعل أمري إليها ما كانت صانعة بي ؟ قال : تدخلك الجنة . قال : فإن الله

تعالى أرحم بي من والدتي ثم قبض الفتى فدخل معه عمه القبر يلحده ، فلما سوّاه صاح وفزع ، فقلت له : ما لك ؟ قال : فسح له في قبره ومليء نوراً . وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قدم على رسول الله ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تسعى ، وقد وجدت صبياً في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله ، فقال : الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها » رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما :

لم لا نرجي العفو من ربنا ... أم كيف لا نطمع في حلمه
وفي الصحيحين أتى أنه ... بعبده أرحم من أمه

[**إخواني**] : إذا كان الحق سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من أمه فكيف لا يقبل العبد على طاعته ويقلع عن معصيته ويقدم بين يديه ما يعود نفعه عليه . وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ : [البقرة : ١١٠] .

قدم لنفسك خيرا ... ما دمت مالك مالك ... واعدد جواباً سريعاً ... إذا سمعت سؤالك
فكل ما قد فعلته ... تراه ثم ينالك

[وقال أبو بكر بن سليم الصواف رحمه الله] : دخلنا على مالك بن أنس ﷺ في العشية التي قبض فيها . فقلنا له : يا أبا عبد الله كيف تجدك ؟ قال : لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من لطف الله وعفوه ما لم يكن لكم في حساب ، فما برحنا من عنده حتى غمضناه .

[وقيل] : إن الله تعالى ألطف وأرحم ما يكون بعبده إذا نزل في لحده ووضع خشن التراب على لين خده ، وجفاه من كان يرغب في قربه ووده فإذا وضع الميت على المغتسل أولاً وجرد من ثيابه وأيس من أحبابه فينادي : واسوأتاه وافضيحتاه ولا يسمع نداءه غير مولاه فيجيبه الحق سبحانه تعالى ويقول : عبدي أنال سترتك في الدنيا وأنا أسترك في الآخرة .

يا من له الستر الجميل على الورى ... ويجود بالإفضال منه وبالقرى
أبديتني ورحمتني وسترتني ... وهديتني لطفاً فكنت مقصرا
فارحم بعفوك زلتي يا سيدي ... ومصون وجه في التراب معفرا

فإذا أخرج الميت من الدار وحمل على النعش فإنه يصيح : واغربتاه فيقول الله سبحانه وتعالى : يا عبدي إن كنت اليوم غريباً فإني منك لا زلت قريباً ، يا عبدي لا تخف فإني مقيل عثرتك وراحم غربتك ومؤنس وحدتك :

يا راحم الغرباء يا من جوده ... قد عمني يا مؤنسي في وحدتي

أمسيت من أهلي غريباً مفرداً ولأنت يا مولا ي راحم غربتي

فإذا أنزلوه في لحده ووضعوا على خشن التراب لين خده ، ثم تركوه وانصرفوا ، ومضوا عنه وانحرفوا فيصيح : واوحدتاه ، فيناديه الرب الكريم الرؤوف الرحيم : عبدي عليّ تستوحش وأنا أنيسك هل تشتكي الوحدة وأنا جليسك ، يا عبدي ألست بربك ؟ فيقول : بلى يا رب فيقول : يا عبدي كيف تركت ما أمرتك به واتبعت ما نهيتك عنه ، أما علمت أن مرجعك إليّ ن وأعمالك معروضة بين يديّ ، أنسيت عهدي أم أنكرت وعيدي ووعدي ، فالآن تخلى عنك الصاحب والصديق ، وتجردت عن المال الوثيق ، فلا المال نفعك في مآلك ، ولا الصديق خلصك من قبيح أفعالك ، فما حجتك وما معذرتك ؟ فيقول : يا رب احتوى قلبي على حب الدنيا وحب المال فحملاني على الذنوب والأثقال ، وها أنا قد صرت في جوارك ، وأنا الليلة ضيفك فلا تعذبني بنارك وإن لم ترحمني فمن يرحمني ؟ فيقول الله تعالى : يا عبدي مضوا عنك وتركوك ، ولو أقاموا عندك ما نفعوك ، وإلى بابي وجهوك وعلى كرمي خلفوك ، يا عبدي طب نفساً وقرّ عيناً فأنت الليلة ضيفي والكريم لا يخيب ضيفه ، يا ملائكتي أحسنوا في ضيافته ، وكونوا عليه أشفق من أهله وقرابته :

إذا ما الموت في جسمي السقيم سرى وأتى على عظمي الرميم وبتّ مجاور الرب الرحيم

فقولوا لي وقد وافى نعيمي لك البشرى قدمت على كريم

تولى العمر واقترب الرحيل وزادي للتقى زاد قليل وفي لحدي إذا حان النزول

فهنوني أحبائي وقولوا لك البشرى قدمت على كريم

[وعن أبي هريرة ﷺ] أن رسول الله ﷺ قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » رواه ابن ماجه ﷺ . وقيل : إن موسى عليه السلام قال في مناجاته : يا رب ، فقال الله تعالى : لبيك يا موسى ، فقال موسى عليه السلام : يا رب أنت أنت فمن أنا حتى أجاب بالتلبية ؟ فقال : يا موسى إني آليت على نفسي أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية . فقال موسى : يا رب هذا لكل عبد طائع ؟ قال : ولكل عبد مذنب ، قال : يا رب أما الطائع فبطاعته فما بال المذنب ؟ فقال الله تعالى : يا موسى إني إذا جازيت المحسن بإحسانه ومنعت المسيء لإساءته فأين جودي وكرمي ؟ :

تعصي وتجهر بالعصيان إعلاناً وأستر الذنب إنعاماً وإحسانا

ولا أجازي مسيئاً بالفعل ولا أجزي الذي تاه عصياناً وعدوانا

ومن أتى تائباً بالذل منكسراً نعطيه من فضلنا عفواً وغفرانا

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أن ولياً من أوليائي قد مات في أرض كذا فاذهب إليه وغسله وكفنه وصلّ عليه وواره تحت التراب فهو جارك في الجنة ، فأتى موسى عليه السلام فوجده ميتاً في خربة وليس عنده أحد ولا يملك شيئاً في الدنيا والناس يثنون عليه شراً ويصفونه بكل فسق وعصيان فغسله موسى وكفنه وصلى عليه ودفنه ، وقال : يا رب إني امتثلت ما أمرتني به في حق هذا الميت والناس يثنون عليه شراً ويصفونه بكل قبيح ، فقال الله تعالى : يا موسى صدق عبادي ، وأنا أعلم منه بما لا يعلمون ، ولكن لما دنت وفاته ناجاني بخمس كلمات وقد غفرت له بها . فقال موسى : يا رب وما هن الكلمات ؟ قال : يا موسى الكلمة الأولى قال : يا رب أنت تعلم أني أحب الصالحين وإن لم أكن صالحاً . والثانية قال : يا رب أنت تعلم أني أبغض الفاسقين وإن كنت فاسقاً . والثالثة قال : يا رب لو أعلم أن دخولي الجنة ينقص من ملكك شيئاً لما سألتك جنتك . الرابعة قال : يا رب لو أعلم أن دخولي النار يزيد في ملكك شيئاً ما سألتك الجيرة منها . والخامسة قال : يا رب إن لم ترحمني أنت فمن يرحمني ؟ فرحمته يا موسى ، أفكان يليق بكرمي أن أرده خائباً وقد تكلم بهذه الكلمات فعفوت عنه وغفرت له وأنا الغفور الرحيم :

فكم لبيت عبدي إذا دعاني وراعيت الوداد وما رعاني
أنا المرخي الستور على المعاصي على عبدي الجسور إذا عصاني
أيجمل بي إذا العاصي أتاني وعاتب نفسه فيما جفاني
وجدّد توبة منه وأبدى تضرعه بدمع منه قاني
أقنطه وأمنعه جناني وقد وافى كئيب القلب عاني
فكم أعددت للتوّاب عندي من الخيرات في غرف الجنان
وإن ناداني العاصي بسرّ وإخلاص حوى كل المعاني
ومن يطع الرسول ينال عزاً ويحظى بالمسرة والأماني
شفيع المذنبين رسول حق من قد خص بالسبع المثاني
عليه من المهيمن كل وقت صلاة ما تثنى غصن بان

اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل ولا تذلنا يا ملك يا حق يا مبين واجعلنا من عبادك المفلحين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين